تنبيه المستفيد

شرح كتاب التوحيد

للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله



لـأبي جعفر محمد بن يوسف أهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلوات وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا شرح مختصر على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله رحمة واسعة، وهذا الشرح مفرغ من دروس ألقيت في مسجد الشيخة موزة آل مكتوم بعد صلاة الفجر، وقد قمت بإعداده من المصادر التالية:

١. القول المفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى –.

٢. التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ – حفظه الله –.

و نقلت أيضًا من فوائد علقتها على نسختي وقت الطلب.

أسأل الله أن ينفع به ويجعله مؤديًا للمطلوب من توضيح هذه العقيدة العظيمة، وأن يغفر لي ما وقع مني من خطأ، ويثيبني على ما فيه من صواب، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله و صحبه. والحمد لله رب العالمين.

حرر

أبوجعفر

محمد بن يوسف أهلي

٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

الموافق: ٩ يونيو ٢٠٠٧م

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

هو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، أبو الحسين، محمد بن عبدالوهاب بن الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُريد بن مشرف بن عمر بن معضاد الوهيبي التميمي.

ولد في بلدة العيينة في نجد، ونشأ فيها عند أبيه عبدالوهاب، في بيت علم، في آبائه وأعمامه، واتصل العلم في بنيه وبني بنيه، وكان مولده سنة ١١١٥.

تلقى مبادئ العلم في بلده، ورحل إلى الحجاز مرتين، وزار الشام، وكان في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، وكلام العلماء.

أخذ عن عدة مشايخ، منهم: أبوه، والشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبدالله بن سيف، والشيخ محمد المجموعي البصري، وغيرهم.

انتفع به كثير من الطلبة، منهم:

أبناؤه الأربعة: حسين، وعبدالله، وعلي، وإبراهيم. وكلهم جَمَع أنواع العلوم الشرعية.

حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسين، وغيرهم من القضاء والرؤساء والأعيان.

توفي رحمه الله آخر ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ، عن نحو اثنتين وتسعين سنة، ببلدة الدرعية. رحمه الله رحمة واسعة.

{ كتاب التوحيد[1] }

---

[1] **التوحيد لغة**: مصدر وحّد الشيء إذا جعله واحدًا.

اصطلاحًا: هو إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

١. **توحيد الربوبية**: هو إفراد الله بأفعاله، من الخلق والملك والتدبير والرزق.

٢. **توحيد الألوهية**: هو إفراد الله بالعبادة .

- **العبادة**: هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٣. **توحيد الأسماء والصفات**: هو إفراد الله بما له من الأسماء والصفات.

يتضمن : النفي والإثبات.

- فالواجب أن نؤمن بما وصفه الله وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.
- ويجب على الإنسان أن يمنع نفسه عن السؤال بـــ " لِمَ" و "كيف" فيمـــا يتعلـــق بأسمـــاء الله وصفاته.
- وإن اشتركت بعض هذه الأسماء والصفات مع المخلوقين في أصل المعنى إلا أنها تختلف في حقيقة الحال وفي كمال المعنى.

أنواع التوحيد الثلاثة مجموعة في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥.

- ولما كان اعتناء علماء السنة والعقيدة في بيان النوعين الأول والثالث وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ألّف الإمام محمد بن عبدالوهاب كتابًا مستقلاً في بيان توحيد الألوهية، وذلك لحاجة الناس لهذا الصنف ولأن أكثر الناس يقعون في مخالفاته فكان هذا الكتاب.

ثم إن الشيخ لما بسط ذلك بَيَّن أيضًا ضده وهو الشرك:

الشرك لغةً: هو اتخاذ الشريك وهو أن يجعل واحدًا شريكًا لآخر.

اصطلاحًا: هو اتخاذ شريك مع الله في الربوبية أو في العبادة أو في الأسماء والصفات.

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] الذاريات: ٥٦.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] النحل: ٣٦.

وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ[3] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ[4] إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ – ٢٤.

و قوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ[5] شَيْـًٔا ۖ[6] ﴾ النساء: ٣٦ . ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ الآيات من سورة الأنعام ١٥١–١٥٣.

أقسام الشرك :

١) **الشرك الأكبر**: هو ما كان مخرجًا من الملة.

   ١. ظاهر: عبادة الأصنام والقبور.

   ٢. باطن: المنافقين.

٢) **الشرك الأصغر**: هو ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

   ١. ظاهر: الحلف بغير الله، التمائم.

   ٢. خفي: الرياء.

[1] أي: إلا ليوحدون ، و هذه الآية فيها حصر، واللام هنا لتعليل الغاية .

[2] **الطاغوت**: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

معبود: الأصنام.

متبوع: الكهان ، السحرة ، علماء السوء.

مطاع: الأمراء الخارجون عن طاعة الله.

[3] أي: أمر و وصى.

[4] هذا معنى (لا إله إلا الله) بالمطابقة.

[5] ليس مأذونًا أن يشرك به لا ملك ولا نبي ولا صالح ولا عالم ،...

[6] تفيد العموم ، دل على النهي على أي نوع من الشرك .

قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه[1] فليقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ الآية (الأنعام:١٥١-١٥٣).

و عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: كنت رديف[2] النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **[يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟]** قلت: الله و رسوله أعلم. قال: **[حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا]** قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال:**[لاتبشرهم فيتكلوا]** أخرجاه في الصحيحين .

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن و الإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ الكافرون: ٣ ،٥.

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل الأمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله.

---

[1] أي التوقيع ، يعني التي كانت من آخر ما وصى به ، وهي آيات عظيمة إذا تدبرها الإنسان وعمل بها حصلت له الأوصاف الثلاثة الكاملة العقل والتذكر والتقوى.

[2] راكب معه خلفه.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، و فيها عشر مسائل[1]، أولاها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشر مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الإسراء: ٢٢ وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الإسراء: ٣٩ .

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ النساء: ٣٦.

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم[2].

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية و العشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية و العشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة و العشرون: فضيلة معاذ بن جبل – رضي الله عنه – .

الرابعة و العشرون: عظم شأن هذه المسألة.

---

[1] ١. توحيد الله، ٢. الإحسان بالوالدين، ٣. أن لا نقتل أولادنا، ٤. أن لا نقرب الفواحش، ٥. أن لا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ٦.أن لا نقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ٧.أن نوفي الكيل والميزان بالقسط، ٨. أن نعدل إذا قلنا، ٩.أن نوفي بعهد الله، ١٠.اتباع الصراط المستقيم.

[2] هذا كان يقال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد وفاته فلا يجوز مثل هذا القول، بل يقتصر على قول: (الله أعلم) حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئًا بعد موته.

١- باب

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب[١]

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟[٢] إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ[٣] أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ[٤] وَهُم مُّهْتَدُونَ[٥] ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام: ٨٢.

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : **[من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدًا عبده ورسوله[٦]، وأن عيسى عبد الله[٧] و رسوله[٨] و كلمته[٩] ألقاها إلى مريم و روح**

---

[١] معنى هذا الباب: باب فضل التوحيد، وبيان الذنوب التي يكفرها، فالتوحيد يكفر الذنوب جميعًا؛ لأن التوحيد حسنة عظيمة لا تقابلها معصية إلا وأحرقها.

فكلما زاد التوحيد محي من الذنوب بمقدار عظمه، وكلما زاد التوحيد أمن العبد في الدنيا وفي الآخرة بمقدار عظمه.

[٢] أي لم يخلطوا.

[٣] الظلم هنا: الشرك، ومعناه لم يخلطوا توحيدهم بنوع من أنواع الشرك، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: (**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه**: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لقمان: ١٣.

[٤] هو الأمن التام في الدنيا والآخرة.

[٥] أي في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل.

[٦] الذي ينقص تحقيق الشهادة: ١- فعل المعاصي.

٢- الابتداع في الدين ما ليس منه.

[٧] فيه رد على النصارى فإنهم قالوا بأن عيسى ابن الله وثالث ثلاثة، قال القرطبي: يستفاد منه ما يُلقَّنه النصراني إذا أسلم.

[٨] فيه رد على اليهود فإنهم كذبوه وقالوا بأنه ولد زنى وأنه ليس بنبي.

[٩] أطلق الله عليه كلمة لأنه خلق بالكلمة وهي كلمة [كن] فكن من الله قول وليس مخلوقًا.

منه[1] ، **والجنة حق و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**[2]**]** أخرجاه . و لهما في حديث عتبان: **[فإن الله حرم على النار**[3] **من قال: لا إله إلا الله**[4] **، يبتغي بذلك وجه الله**[5]**]**.

وعن أبي سعيد الخدري – ﷺ – : عن النبي ﷺ قال: **[قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك و أدعوك به ، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله**[6]**، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال : يا موسى لو أن السماوات السبع و عامرهن**[7] **غيري ، و الأرضين السبع في كفة ، و لا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله]** رواه ابن حبان والحاكم وصححه. وللترمذي و حسنه عن أنس – ﷺ –

---

[1] بعد أن صار جسدًا نفخت فيه هذه الروح من الله وليست جزءًا من الله، وسمي روحًا لأنه حدث من نفخة جبريل.

فائدة: مريم بنت عمران ليست أخت موسى وهارون عليهما السلام بل هو آخر يسمى باسمه وكـذلك عمران سمي باسم أبي موسى.

[2] على ما كان من العمل: يعني على الذي كان عليه من العمل ولو كـان مقـصرًا وعنـده ذنـوب وعصيان.[على ما كان من العمل الصالح ولو قل أو على ما كان من العمل السيء ولو كثر].

فهذا الحديث فيه بيان فضل التوحيد على أهله.

[3] تحريم النار يأتي على درجتين: ١- تحريم مطلق: لا يدخلها أبدًا.

٢- تحريم بعد أمد: ربما يدخلها ثم يحرم عليه البقاء فيها .

[4] هنا القول الذي معه تمام الشروط كقول النبي ﷺ : "**الحج عرفة**" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

[5] وخرج بذلك المنافقين .

قال الشيخ ابن عثيمين: قال العلماء: يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة.

[6] وهذه الجملة ذِكر متضمن للدعاء لأن الذاكر يريد رضا الله عنه.

[7] أي ساكنهن.

وجه الدلالة من الحديث: أنه لو تصور أن ذنوب العبد بلغت ثقل السماوات السبع والأرضين الـسبع ووزنت مع لا إله إلا الله لرجحت كلمة التوحيد، وهذا الفضل العظيم لكلمة التوحيد إنما هي لمن قويت في قلبه، ذلك أنها في قلب بعض العباد تكون قوية لأنه مخلص فيها مصدق، لا ريب عنده فيما دلت عليه، معتقد ما فيها، محب لما دلت عليه، فيقوى أثرها ونورها في القلب فإذا كانت كذلك فإنها تحرق ما يقابلها من الذنوب، وأما من لم يكن من أهل تمام الإخلاص فيها فإنه لا تطيش له سجلات الـذنوب. فهـذا الفضل يكون في حق من كمّلها وحققها.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب**[1] **الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة]**.

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب[2] .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه و بين حديث عتبان و ما بعده ، تبين لك معنى قول (لا إله إلا الله) و تبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله) .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسماوات .

الحادية عشرة : أن لهن عمارًا .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافًا للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: **[فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله]**؛ أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى و محمد عبدي الله و رسوليه .

---

[1] أي ما يقاربها.

فرع: دخول النار لأهل التوحيد يكون بإحدى سببين:

١. إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات أو لرجحان السيئات.

٢. أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم.

[2] لقوله لأتيتك بقرابها مغفرة: فالإنسان قد تغلبه نفسه أحيانًا فيقع في الخطايا لكنه مخلص لله في عبادته وطاعته، فحسنة التوحيد تكفر عنه الخطايا إذا لقي الله .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحًا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة و النار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله : **[على ما كان من العمل]**.

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

٢-باب

من حقق التوحيد[١]؛ دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً[٢] قَانِتًا[٣] لِّلَّهِ حَنِيفًا[٤] وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[٥] ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل:١٢٠. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ[٦] ﴿٥٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٩ .

عن حصين بن عبد الرحمن ، قال: كنت عند سعيد بن جبير[٧]، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض[٨] البارحة ؟ فقلت : أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة[٩]، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت:

---

[١] **معنى تحقيق التوحيد:** هو تحقيق الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومعنى تحقيق الشهادتين تصفية الدين من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ترك الشرك بأنواعه، والبدع بأنواعها والمعاصي بأنواعها.

وللترك درجتان: ١. درجة واجبة وهي هذه الثلاثة.

٢. درجة مستحبة وهي ألا يكون في القلب من التوجه أو القصد لغير الله.

[٢] هو الإمام الذي جمع جميع صفات الكمال البشري وصفات الخير.

[٣] القنوت: وهو دوام الطاعة وملازمتها.

[٤] مائلاً عن الشرك.

[٥] تأكيد ، لاستمراره على التوحيد وفيه أن الله جعله إمامًا ولا يجعل الله للناس إمامًا من لم يحقق التوحيد أبدًا (أنه لم يك فاعلاً للشرك بأنواعه و لم يك منهم).

وهذه الآية ثناء الله على إبراهيم عليه السلام، والقصد من ثناء الله على أحد لأمرين:١- محبة هذا الذي أثنى الله عليه ، ٢- أن نقتدي به في هذه الصفات التي أثنى بها الله عليه.

[٦] لأن الربوبية تستلزم العبودية، فصار عدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشراك في العبودية، وهذا وصف الذين حققوا التوحيد.

[٧] هما رجلان من التابعين ثقتان.

[٨] سقط.

[٩] وقال هذا رحمه الله لئلا يُظن أنه قائم يصلي فيُحمد بما لم يفعل وهذا خلاف ما عليه بعضهم يفرح أن الناس يتوهمون أنه يقوم يصلي وهذا من نقص التوحيد.

ارتقيت[1]. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وماحدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب، أنه قال:[**لا رقية[2] إلا من عين أو حُمَة[3]**]. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع[4]، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ، أنه قال: [**عرضت[5] علي الأمم، فرأيت النبي و معه الرهط[6]، والنبي و معه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد[7] عظيم فظننت أهم أمتي. فقيل لي: هذا موسى وقومه. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[8]**]. ثم نهض، فدخل مترله، فخاض الناس في أولئك، فقال: بعضهم: فلعل الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا ، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فأخبروه، فقال: [**هم الذين لا يسترقون[9]**،

---

[1] استرقيت: طلبت الرقية.

[2] أي لا كامل رقية.

[3] وهي كل ذات سم والعقرب من ذوات السموم.

[4] هذه صورة من صور الأدب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم: أن ينتهي الطالب إلى ما سمع ، و لا يتعدى ، و لا يفعل إلا ما كان له مستند من الشرع .

[5] وهذا في المنام فيما يظهر.

[6] من ثلاثة إلى تسعة.

[7] الأشخاص.

[8] وظاهره أنه لا في قبورهم ولا بعد قيام الساعة.

[9] أي لا يطلبون الرقية، لأن الطالب للرقية يكون في قلبه ميل للراقي وهذا ينافي كمال التوكل على الله.

ولايكتوون[١]، **ولا يتطيرون**[٢]، **وعلى ربهم يتوكلون**[٣]**]**[٤]. فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **[أنت منهم]**. ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **[سبقك بها عكاشة**[٥]**]**.

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: مامعنى تحقيقه[٦].

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء[٧] بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية و الكي من تحقيق التوحيد.

---

[١] لا يطلبون من أحد أن يكويهم، والعرب تعتقد أن الكي يحدث المقصود دائمًا فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي.

[٢] وهو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان وأصله من التشاؤم بالطير.

[٣] فانتفاء هذه الأمور عنهم يدل على قوة توكلهم.

وإنما ذكر هذه الثلاثة أمور بخصوصها لأنه يكثر تعلق القلب والتفاته إلى الراقي أو الكاوي أو إلى التطير ففيها إنقاص من مقام التوكل.

[٤] التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو: خلاصة التفريد ونهاية تحقيق التوحيد.

[٥] قد اختلف العلماء لماذا قال النبي ﷺ هذا الكلام؟

أقرب هذه الأقوال أنه ﷺ خاف أن ينفتح الباب فيطلبها من ليس منهم فقال هذه الكلمة التي أصبحت مثلاً.

فرع: من فضل الله على النبي ﷺ وأمته أن جعل مع كل ألف سبعين ألفًا آخرين، قال رسول الله ﷺ **[فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا]** رواه أحمد وقال ابن حجر: سنده جيد، فيكون العدد قرابة خمسة ملايين من هذه الأمة .

[٦] تخليصه من الشرك.

[٧] يعني الأولياء الذين هم سادات الخلق.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل[1].

الثامنة: حرصهم على الخير[2].

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية[3].

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة و السلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة[4].

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمة[5].

السابعة عشرة: عمق علم السلف؛ لقوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا)، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني[6].

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله ﷺ : **[أنت منهم]** : عَلَمٌ من أعلام النبوة[7].

---

[1] أي لم ينل هؤلاء السبعون ألفًا هذا الثواب إلا بعمل.

[2] وجهه خوضهم في هذا الشيء.

[3] الكمية: رأى سوادًا.

الكيفية: معهم هؤلاء السبعون الذين لا يسترقون...

[4] ١ – أن لا نغتر بكثرة الهالكين فنهلك معهم.

٢– أن لا نغتر بكثرة الناجين فيلحقنا الإعجاب بالنفس.

٣– عدم الزهد في القلة.

[5] لا رقية أشفى أو أولى من رقية العين و الحمة .

[6] الحديث الأول لا يخالف الثاني لأن الثاني إنما هو في الاسترقاء والأول في الرقية.

[7] عَلم: دليلاً على نبوة الرسول ﷺ وذلك لأن عكاشة رضي الله عنه بقي محروسًا من الكفر حتى مات على الإسلام.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض[1].

الثانية و العشرون: حسن خلقه ﷺ[2].

---

[1] في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لقول النبي ﷺ: **[سبقك بها عكاشة]** فإن هذا في الحقيقة ليس هو المانع الحقيقي.

[2] وذلك لأنه رد هذا الرجل وسد الباب على وجه ليس فيه غضاضة على أحد ولا كراهة.

فرع : إذا طلب منك إنسان أن يرقيك فهل يفوتك كمال إذا لم تمنعه؟

لا يفوتك، لأن النبي ﷺ لم يمنع عائشة رضي الله عنها أن ترقيه.

والرقية على ثلاث مراتب:

١. أن يطلب من يرقيه وهذا قد فاته الكمال.
٢. أن لا يمنع من يرقيه وهذا لم يفته الكمال
٣. أن يمنع من يرقيه وهذا خلاف السنة.

وأما بالنسبة للتداوي فلا معارضة لأن النبي ﷺ قال: **[تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام]** رواه أبوداود فالمقصود من هذا: أن التداوي ليس خارقًا لتحقيق التوحيد ولا يدخل فيما يختص به أصل تحقيق التوحيد.

٣ – باب

الخوف من الشرك[1]

وقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ[2] أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ[3] وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ[4] لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ النساء: ٤٨.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي[5] وَبَنِيَّ[6] أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ[7] ﴿٣٥﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

---

[1] في الباب الأول ذكر المؤلف رحمه الله تحقيق التوحيد، وفي الباب الثاني ذكر أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلَّث بهذا الباب رحمه الله تعالى لأن الإنسان يرى أنه قد حقق التوحيد وهو لم يحققه.

وكل من حقق التوحيد فلا بد أن يخاف من الشرك ، فمناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة و هي أن تحقيق التوحيد عند أهله لابد أن يقترن معه الخوف من الشرك. فإن هذا الكتاب موضوع لتحقيق التوحيد وللخوف من الشرك والبعد عنه فما بعد هذين البابين تفصيل لهاتين المسألتين العظيمتين.

[2] أبدًا ، لأن الشرك اعتداء على حق الله تعالى.

[3] **وهل المراد هنا بالشرك الأكبر أم مطلق الشرك؟**

فيه خلاف ، لابن تيمية قولين ، واختيار الإمام رحمه الله كاختيار ابن تيمية و ابن القيم أنه المراد به مطلق الشرك ، وهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف.

فإذا قيل **بماذا يُغفر إذًا؟** نقول أنه لا يغفر إلا بالتوبة فقط ، لأنه من المعلوم أن الشرك بأنواعه من حيث الجنس أعظم من الكبائر الأعمال المعروفة.

فإذا حصل الخوف والوجل من الشرك في القلب ، فإن العبد سيحرص على معرفة أنواعه حتى لا يقع فيه.

[4] أي ما هو أقل من الشرك .

[5] اجعلني في جانب والأصنام في جانب .

[6] المراد ذريته وما توالد من صلبه.

[7] **الصنم**: هو ما جعل على صورة إنسان أو غيره مما يعبد من دون الله.

الوثن: هو ما عبد من دون الله مما ليس على هيئة صورة كالقبر والمشهد.

فالوثن أعم من الصنم.

وفي الحديث: **[أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر]** فسئل عنه؟ فقال: **[الرياء]**.

وعن ابن مسعود-رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **[من مات وهو يدعو لله ندًا[1]؛ دخل النار[2]]**. رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر - رضي الله عنه - ؛ أن رسول الله ﷺ قال: **[من لقي الله لا يشرك به شيئًا[3] دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار[4]]**.

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا؛ دخل النار، ولوكان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

فإبراهيم عليه السلام يخاف الشرك على نفسه وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء فما بالك بنا نحن إذًا ؟! فلا تأمن الشرك ولا تأمن النفاق ، إذ لا يأمن النفاق إلا منافق ولا يخاف النفاق إلا مؤمن ولهذا قال ابن أبي مليكه: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف من النفاق على نفسه) .

[1] ودعوة الند من دون الله من الشرك الأكبر لأن الدعاء عبادة.

[2] يكون خالدًا فيها لأن المسلم إذا وقع في الشرك الأكبر فإنه يحبط عمله بذلك.

[3] نفي لجميع أنواع الشرك.

[4] **هل يدل على أن الدخول أبدي أم أمدي ؟** بحسب نوع الشرك.

فرع : **وهل يدخل الشرك الأصغر في الموازنة أم لا ؟**

نعم يدخل في موازنة الحسنات والسيئات.

التاسعة: اعتبره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ إبراهيم: ٣٦.

العاشر: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري في صحيحه.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

٤- باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ[٢] أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ[٣] عَلَىٰ بَصِيرَةٍ[٤] أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ[٥] وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ[٦] وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ[٧] ١٠٨ ﴾ يوسف: ١٠٨.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن؛ قال: **[إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب[٨]؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه[٩] شهادة أن لا إله إلا الله**

---

[١] بوب الشيخ بهذا الباب ، ليدل على أن من تمام الخوف من الشرك وتمام التوحيد أن يدعو المرء غيره إلى التوحيد، وما بعد هذا الباب هو تفسير للتوحيد وبيان لأفراده وتفسير للشرك وبيان لأفراده.

[٢] طريقي.

[٣] إنه دعاء إلى الله لا إلى غيره وفي هذا فائدتان :

١- أن الدعوة إلى الله دعوة إلى التوحيد.

٢- التنبيه على الإخلاص.

يعني أن الداعي إلى الإسلام يحتاج أن يكون مخلصًا في ذلك .

قال الشيخ ابن عثيمين: من المهم أن الإنسان لا يفرحه أن يقبل الناس قوله لأنه قوله، لكن يفرحه أن يقبل الناس قوله إذا رأى أنه الحق لأنه الحق لا لأنه قوله، وكذا لا يحزنه أن يرفض الناس قوله لأنه قوله، لأنه حينئذ يكون قد دعا لنفسه لكن يحزنه أن يرفضوه لأنه الحق، وبهذا يتحقق الإخلاص.

[٤] أي: العلم، وهي للقلب كالبصر للعين يبصر بها المعلومات والحقائق، على بصيرة يشمل العلم بالشرع والعلم بحال المدعو والحكمة، فلا بد أن يدعو على علم ويقين ومعرفة. فالجاهل لا يصلح للدعوة، وليس محمودًا، وليست طريقته طريقة الرسول ﷺ لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح.

[٥] أدعو أنا إلى الله وكذلك من اتبعني وأجاب دعوتي .

[٦] وسبحان الله أن أكون أدعو على غير بصيرة.

[٧] توكيد.

[٨] فيه توطين وتوطئة للنفس بأن يهيء نفسه لمناظرتهم لأنه لابد للداعية أن يكون بصيرًا بأحوال من يدعو وأن يكون مستعدًا لهم.

[٩] الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله مأمور بها.

(وفي رواية: **إلى أن يوحدوا الله**[1])، **فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم**[2] أموالهم، **واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب]**. أخرجاه.

ولهما: عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **[لأعطين الراية**[3] **غدًا رجلاً يحب الله و رسوله، ويحبه الله ورسوله**[4]**؛ يفتح الله على يديه**[5]**]**، فبات[6] الناس يدوكون ليلتهم؛ أيهم يعطاها، فلما أصبحوا؛ غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجوا أن يعطاها، فقال: **[أين علي بن أبي طالب؟]**.

فقيل: هو يشتكي[7] عينيه[8].

فأرسلوا إليه، فأتي به[9]، فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: **[انفذ على رسلك**[10] **حتى تنــزل بساحتهم**[11] **ثم ادعهم إلى الإسلام**[12]، **وأخبرهم بما يجب عليهم**[13] **من حق**

---

[1] موطن الشاهد من هذا الحديث ومناسبة إيراده في الباب: هو ذكر أن التوحيد هو أول ما يدعى إليه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

[2] الكريمة و هي النفيسة .

[3] الراية : العَلم ، سمي راية لأنه يرى . وهو ما يتخذه أمير الجيش للعلامة على مكانه.

[4] أثبت المحبة لله من الجانبين أي أن الله يُحِب ويُحَب.

[5] يفتح الله خيبر على يديه.

[6] البيتوتة: المكث في الليل سواءً كان نوم أو لم يكن.

[7] يتألم منهما .

[8] من الرمد.

[9] كأنه رضي الله عنه قد عَم على عينيه لأنه قوله أُتي به أي يقاد .

[10] أي على مهلك ؛ لأن المقام خطير لأنه يخشى من كمين واليهود خبثاء أهل غدر.

[11] أي ما يقارب منهم وما حولهم.

[12] فالدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد.

[13] يعني في الإسلام من جهة التوحيد ومن جهة الفرائض ، واجتناب المحرمات.

الله تعالى فيه، فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْرِ النَّعَم[1]]. (يدوكون)؛ أي: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ .

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا من الناس لودعا إلى الحق؛ فهو يدعو إلى نفسه[2] .

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض[3] .

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد كونه (تنــــزيهًا) لله- ﷻ - عن المسبة[4] .

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله[5] .

السادسة: وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك[6] .

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: **[أن يوحدوا الله]**: معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولايعمل بها[7] .

فرع : **هل يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الإسلام قبل أن يسلموا أو بعده؟**

نترك هذه المسأله للواقع وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا.

[1] هي الإبل الحمراء وهي أحسن وأنفس ما يكون من الإبل عند العرب.

[2] فالذي يدعو إلى الله هو الذي لا يريد إلا أن يقوم دين الله والذي يدعو إلى نفسه هو الذي يريد أن يكون قوله هو المقبول ، حقًا كان أم باطلاً .

[3] تؤخذ من قوله تعالى: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ لأنه لابد للداعية من العلم بما يدعو إليه والدعوة فريضة فيكون العلم بذلك فريضة.

[4] ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨.

[5] ومعنى المسبة : أي مماثلة الخالق للمخلوق إذ تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

[6] لأنه إذا كان بينهم ولو لم يكن مشركًا فهو في ظاهره معهم.

[7] و هي شهادة أن لا إله إلا الله.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم[1].

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لاتحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ماجرى على سيد المرسلين، وسادات الأولياء، من المشقة، والجوع، والوباء[2].

التاسعة عشرة: قوله: **[لأعطين الراية...]** إلخ: عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينه عَلَم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي – رضي الله عنه – .

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يَسْعَ لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: **[على رسلك]**.

الخامسة و العشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: **[أخبرهم بما يجب عليهم]**.

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

---

[1] المراد بالشُّبْهَةِ هنا شبهة العلم أي : يكون عنده جهل.

[2] يريد الإشارة إلى قصة خيبر إذ وقع فيها في عهد النبي ﷺ جوع عظيم حتى إنهم أكلوا الحمير والثوم، ووجه كون ذلك من أدلة التوحيد أن الصبر والتحمل في مثل هذه الأمور يدل على إخلاص الإنسان في توحيده.

٥ – باب

تفسير[١] التوحيد وشهادة[٢] أن لا إله إلا الله[٣]

وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ [٤] يَبۡتَغُونَ [٥] إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ [٦] أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٧.

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ[٧] مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي[٨] فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ[٩] لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ – ٢٨ .

---

[١] التفسير معناه: الكشف والإيضاح عن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

[٢] أي العلم.

[٣] لا إله معبود بحق إلا الله ، وفيه حصر وقصر.

[٤] هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء هم أنفسهم يبتغون إلى رهم الوسيلة أيهم أقرب فكيف تدعوهم وهم محتاجون مفتقرون.

[٥] أي : يطلبون.

[٦] الحاجة والقصد والتقرب بالأعمال الصالحة ، يعني أن حاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الحاجة.

وجه مناسبة الآية للباب: أن التوحيد يتضمن البراءة من الشرك ، وهؤلاء الذين يدعون غير الله من الأنبياء والملائكة والصالحين لم يتبرؤوا من الشرك.

[٧] براء: التخلي ، هي الكفر والبغضاء والمعاداة لعبادة غير الله ، هذه الآية فيها نفي ﴿بَرَآءٞ﴾ و إثبات ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ .

[٨] وهؤلاء يعبدون الله ويعبدون غيره لأنه قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ ومع ذلك تبرأ منهم.

[٩] عقبه: أي ذريته، أي كلمة لا إله إلا الله .

وقوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ[1] وَرُهْبَانَهُمْ[2] أَرْبَابًا[3] مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) ﴾ التوبة: ٣١ .

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا[4] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ[5] وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ[6] ﴾ البقرة: ١٦٥ .

وفي الصحيح[7] : عن النبي ﷺ ؛ أنه قال: **[من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله[8]؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل]**.

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه مسائل :

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيّنَها بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء: بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين؛ ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

---

[1] الأحبار: جمع حبر وهو العالِم.

[2] عبّادهم .

[3] أي اتخذوا علماءهم و عبادهم معبودين من غير الله وذلك أنهم أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

[4] جمع ند وهو الشبيه والنظير.

[5] أي أنهم يحبون الأنداد والأصنام كحبهم لله: فيجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله.

[6] والذين آمنوا أشد حبًا لله من هؤلاء لله.

والشاهد من هذه الآية: أن الله جعل هؤلاء الذين ساووا محبة الله بمحبة غيره مشركين لله أندادًا .

[7] المراد به صحيح مسلم.

[8] دليل على أنه لا يكفي بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله بل لابد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله بل ونكفر أيضًا بكل كفر.

فرع :من يقول لا إله إلا الله ويرى أن النصارى واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمسلم.

ومنها: آية براءة: بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في غير المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل – عليه السلام – للكفار: (إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِي) [الزخرف: ٢٦،٢٧]. فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر – سبحانه – أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [1]) [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ البقرة: ١٦٧؛ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، و لم يدخلهم في الإسلام؛ فكيف بمن أحب الند أكثر من حب الله؟! وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده و لم يحب الله؟!

ومنها: قوله ﷺ : **[من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله]**، وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف؛ لم يحرم ماله ولا دمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!

[1] يرجعون إلى هذه الكلمة .

٦- باب[١]

من الشرك لُبس الحلْقة[٢] والخيط[٣] ونحوهما[٤] لرفع البلاء أو دفعه[٥]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ [٦] إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ [٧] (٣٨) ﴾[٨] الزمر: ٣٨.

وعن عمران بن حصين – رضي الله عنه – ؛ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلْقه من صُفْر، فقال: **[ما هذه؟]** قال: من الواهنة[٩]. فقال: **[انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**[١٠]**، فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا**[١١]**]**. رواه أحمد بسند لابأس به[١٢].

---

[١] في هذا الباب تفصيل وبيان صور من الشرك الأصغر التي يكثر وقوعها.

[٢] إما أن تكون من نحاس أو حديد أو فضة.

[٣] والمراد عقده في اليد على وجه الاعتقاد وليس المراد خيطًا بعينه.

[٤] مثل الخرز والتمائم والحديد، وما يعلق في البيوت أو في السيارات أو يعلق على الصغار.

[٥] تلبس هذه الأمور لسببين: إما لدفع البلاء قبل وقوعه ، وإما لرفع البلاء بعد وقوعه.

فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركًا أكبر ، وإن اعتقد أنها سبب ولكنه ليس مؤثرًا بنفسه فهو مشركًا شركًا أصغر.

قاعدة: كل من أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا شرعيًا ولا قدريًا فقد أشرك.

[٦] يدخل فيه كل من تُوُجه إليه بشيء من أنواع العبادة.

[٧] المتوكل حقيقة هو المتوكل على الله ، لأن توكلك على الله اعتقادك بأن بيده النفع والضر.

[٨] معنى الآية: أتقرون بأن الله هو الواحد في ربوبيته، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وحده؟ إذا أقررتم بهذا أفرأيتم هذه الأشياء التي تتوجهون لها من دون الله، هل قادرة على دفع المضار عنكم أو هل تجلب لكم رحمة من دون الله.

[٩] نوع مرض من الأمراض يهن الجسم ويضعفه.

[١٠] أي : وهنًا في النفس لا في الجسم.

[١١] يختلف بحسب اعتقاده.

[١٢] وحسنه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.

وله: عن عقبة بن عامر مرفوعًا: **[من تعلق[1] تميمة[2]؛ فلا أتم الله له[3]، ومن تعلق ودْعَة[4]؛ فلا وَدَعَ الله له[5]]**[6]. وفي رواية: **[من تعلق تميمة؛ فقد أشرك]**[7].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى[8]، فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[9] يوسف: ١٠٦

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه؛ ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: (أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر).

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لاتنفع في العاجلة؛ بل تضر، لقوله: **[لا تزيدك إلا وهنًا]**.

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا؛ وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة؛ فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

---

[1] أنه علق وتعلق قلبه بما علق.

[2] شيء يعلق على الأولاد من خرز أو غيره يتقون به العين.

[3] دعاء منه ﷺ على معلقها بأن لا يتم الله له مراده، لأن التميمة أخذت من تمام الأمر.

[4] نوع من الصدف أو الخرز يوضع على الصدور.

[5] دعاء عليه أيضًا ومعناه فلا تركه ذلك ولا جعله في دَعَةٍ وسكون وراحة.

[6] ضعفه الشيخ الألباني.

[7] صححه الشيخ الألباني.

[8] أي : من أجل الحمى.

[9] المراد بها المشركون الذين يؤمنون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الألوهية.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية؛ دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر؛ كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذلك.

الحادية عشر: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له؛ أي: ترك الله له.

٧ - باب[١]

ماجاء في الرقى[٢] والتمائم[٣]

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري -ﷺ- أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: **[أن لا يَبقين في رقبة[٤] بعير قلادة من وَتَر[٥] أو[٦] قلادة إلا قطعت]**.

وعن ابن مسعود – ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[إن الرقى[٧] والتمائم[٨] والتِّوَلَة شرك]**. رواه أحمد، وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: **[من تَعَلَّق[٩] شيئًا[١٠]؛ وُكل إليه[١١]]**. رواه أحمد، والترمذي.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من (القرآن)؛ فرخص فيه بعض السلف[١٢]،وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه،منهم ابن مسعود-ﷺ-[١٣].

---

[١] لم يذكر المؤلف أن هذا الباب من الشرك لأن من الرقى ما ليس بشرك.

[٢] جمع رقية، وهي قراءة، عبارة عن أدعية وألفاظ تقال أو تتلى ثم ينفث فيها.

[٣] شيء يتخذ من جلد أو ورق ويكون فيه أذكار وتعوذات تعلق على الصدر أو في العضد، يراد منه تتميم أمر الخير وتتميم أمر دفع الضر.

[٤] لا يلزم أن تكون القلادة في الرقبة بل لو جعلت في الرجل أو اليد فلها حكم الرقبة.

[٥] هو سلك من العصب يؤخذ من الشاة يزعمون أنه يمنع العين وهذا من الشرك.

[٦] شك من الراوي .

[٧] الرقى قسمان : ١- جائز: توفر ثلاثة شروط ، ٢- ممنوع : ما كان فيه شرك.

الشروط : ١- أن تكون بالقرآن أو بالسنة أو بالأسماء والصفات. ٢- أن تكون بالكلام العربي. ٣- أن لا يعتقد أنها تنفع بنفسها.

[٨] من الناس من يقول إنما أعلق هذه الأشياء للزينة ولا أستحضر هذه المعاني المحظورة فنقول أن هذا محرم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر.

[٩] لم يقل: من علق لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه.

[١٠] تعم جميع الأشياء.

[١١] أي أُسْنِد إليه، فمن تعلق شيئًا وُكِل إليه، وإذا وُكِل إليه فمعنى ذلك أنه خسر في ذلك الخسران المبين.

[١٢] بعض كبار الصحابة.

[١٣] وأصحابه.

والرقى: هي التي تسمى العزائم[1]، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة.

والتولة: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته[2].

وروى أحمد عن رويفع؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **[يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته[3]، أو تقلد وترًا[4]، أو استنجى برجيع[5] دابة أو عظم[6]؛ فإن محمدًا بريء منه[7]]**.

وعن سعيد بن جبير؛ قال: (من قطع تميمة من إنسان؛ كان كعِدل رقبة[8]). رواه وكيع.

وله: عن إبراهيم، قال: (كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن؛ فقد اختلف العلماء؛ هل هي من ذلك أو لا؟

الراجح أنه لا يجوز تعليق تميمة القرآن لعدم ورود الدليل في الجواز، ولكن إذا كان المعلق من القرآن فلا يكون مشركًا لأنه علق شيء من صفات الله.

[1] أي القراءة.

[2] وهو نوع من السحر، في الحقيقة هي نوع من أنواع التمائم لأنها تصنع ويكون الساحر الذي يرقي فيها الرقية الشركية. ومثلها الدبلة.

[3] كانوا يعقدون لحاهم لأسباب: ١- الافتخار والعظمة ، ٢- الخوف من العين .

[4] والنهي ليس راجعًا إلى القلادة من حيث هي ، بل إلى القلادة التي يعتقد فيها أنها تدفع العين.

[5] روثها.

[6] لأن الروث علف بهائم الجن والعظم طعامهم.

[7] هذه من الألفاظ التي تدل على أن هذا الفعل من الكبائر.

[8] وجه المشابهة بين قطع التميمة وعتق الرقبة: أنه إذا قطع التميمة من إنسان فكأنه أعتقه من الشرك ففكه من النار.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

٨ – باب

من تبرك[١] بشجر أو حجر و نحوهما[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ[٣] وَٱلْعُزَّىٰ[٤] (١٩) وَمَنَوٰةَ[٥] ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ[٦] (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ[٧] (٢٢) إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) ﴾[٨] النجم: ١٩ – ٢٣ .

---

[١] هو طلب البركة، والبركة كثرة الشيء الذي فيه الخير وثباته ولزومه، والبركة تكون من الله، هو الذي يبارك وأنه لا أحد من الخلق يبارك أحدًا، فلا يجوز أن يقول باركت على الشيء أو أبارك فعلكم.

فرع : الأشياء التي أحل الله فيها البركة قسمان:

١- بركة في المكان وبركة في الزمان، ومعنى في المكان أن يكون فيها الخير الكثير الدائم فيها، وأما الزمان فيعني أنه من تعبد فيها فإنه ينال من كثرة الثواب ما لا يناله في غيرها من الأزمنة.

٢- البركة المنوطة ببني آدم : أ- الأنبياء: فبركتهم بركة ذاتية. ، ب – الصالحين والعلماء والعباد: فبركتهم هي الانتفاع بعلمهم و الاقتداء بهم.

[٢] مثل البقاع المختلفة القبر ، غار معين أو عين ماء ...

وصف القرآن أو وصفت السنة أشياء بأنها مباركة ولكن لابد أن تعرف الطريق الشرعي الصحيح في حصول البركة من هذه الأشياء.

فرع : ما حكم التبرك بهذه الأمور؟

قد يكون شركًا أكبر: إذا طلب بركتها معتقدًا أنه يتوسط له عند الله.

وقد يكون شركًا أصغر: إذا كان يتخذ هذا التبرك سببًا لحصول البركة بدون الاعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله.

[٣] مشتقة من الله وسموه اللات وهو صنم يعبد في الطائف.

[٤] مشتق من اسم الله العزيز كان نخلة بين مكة والطائف.

[٥] مشتقة من منى لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق.

[٦] إشارة إلى أن التي تعظمونها وضيعة وحقيرة بالنسبة لما رأى النبي ﷺ.

[٧] جائرة، وظالمة.

[٨] مناسبة الآية للترجمة: أنهم يعتقدون أن هذه الأصنام تنفعهم وتضرهم ولذا يأتون إليها.

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر[١]، وللمشركين سدرة يعكفون[٢] عندها وينوطون[٣] بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط[٤]، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: **[الله أكبر إنها السنن[٥]! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم ءالهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم[٦]]**. رواه الترمذي، وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا؛ فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: **[الله أكبر! إنها السنن! لتتبعن سنن من كان قبلكم]**، فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير – وهو المقصود – أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: اجعل لنا إلهًا.

---

[١] قريبوا عهد بكفر.

[٢] ملازمة الشيء.

[٣] يعلقون.

[٤] لأنها تناط فيها الأسلحة.

[٥] الطرق التي يسلكها العباد.

[٦] لتفعلن مثل فعلهم ولتقولن مثل قولهم.

فرع : كان اعتقاد المشركين في التبرك فيه ٣ أمور:

١- التعظيم ، ٢- أنهم عكفوا عندها ، ٣- التبرك.

التاسعة: أن نفي هذا[1] من معنى (لا إله إلا الله) مع دقته، وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر)؛ فيه: أن غيرهم لا يجهل ذلك[2].

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب؛ خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: **[إنها السنن]**.

الثامنة عشرة: أن هذا عَلم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر[3].

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن؛ فإنه قاله لنا.

العشرون: أنه مقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر[4]، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر: أما (من ربك؟)؛ فواضح، وأما (من نبيك)؛ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما (مادينك؟) فمن قولهم: ﴿اجعل لنا إلها...﴾ إلى آخره.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاد قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر).

---

[1] أي التبرك.

[2] إنه ينبغي للإنسان أن يقدم العذر عن قوله أو فعله حتى لا يعرض نفسه إلى القول أو الظن بما ليس فيه.

[3] اتباع سنن من كان قبلنا.

[4] فمن تعبد بعبادة طولب بالدليل لأن الأصل في العبادات الحظر والمنع إلا إذا قام الدليل على مشروعيتها.

٩ – باب

ما جاء في الذبح[١] لغير الله[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي[٣] وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي[٤] لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ[٥] ﴿١٦٣﴾ ﴾[٦] الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣ .

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ[٧] ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ٢ .

عن علي – رضي الله عنه – قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **[لعن[٨] الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه[٩]، لعن الله من آوى محدثًا[١٠]، لعن الله من غير منار الأرض[١١]]**. رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: **[دخل الجنة رجل في ذباب[١٢]، ودخل النار رجل في ذباب]**. قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: **[مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى**

---

[١] الذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين:

١– أن يذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا فهذا شرك أكبر.

٢– أن يذبح لغير الله فرحًا وإكرامًا فالأصل أنها مباحة.

[٢] يشمل الأنبياء والملائكة والأولياء.

[٣] **النسك لغة**: العبادة، اصطلاحًا: الذبح.

[٤] فيه إثبات توحيد العبادة وتوحيد الربوبية.

[٥] يحتمل أن المراد الأولية الزمنية، ويكون المراد أنا أول المسلمين من هذه الأمة، ويحتمل المراد الأولية المعنوية ويكون أنه أعظم الناس إسلامًا.

[٦] الشاهد من الآية: أن الذبح لابد أن يكون خالصًا لله.

[٧] الذبح ، أي اجعل نحرك لله كما أن صلاتك لله.

[٨] الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

[٩] سبهما وشتمهما.

[١٠] ضمه إليه وحماه، والإحداث يشمل الإحداث في الدين والإحداث في الأمر (المفسد) .

[١١] علاماتها ومراسيمها، لقول النبي ﷺ : **[من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه الله من سبع أرضين]** يأخذ ما لا يستحق.

[١٢] بسبب الذباب.

يُقَرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قَرِّب. قال: ليس عندي شيء أُقَرب. قالوا له: قَرَّب ولو ذبابًا. فَقَرَّبَ ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار[1]**. وقالوا للآخر: قَرِّب**[2]**. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل. فضربوا عنقه، فدخل الجنة]**. رواه أحمد[3].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

الثالثة: البداءة[4] بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثًا، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله؛ فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك[5].

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي يفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم[6].

---

[1] فيه دلالة على أنه إذا كان تقريب هذا الذي لا قيمة له سببًا في دخول النار فإنه يدل على أن من قرب ما هو أبلغ فمن باب أولى.

[2] اذبح تقربًا.

[3] أخرجه الإمام أحمد عن سلمان موقوفًا وهو صحيح.

[4] بدأ به لأنه من الشرك.

[5] اقتران ذنب من الذنوب باللعن يدل على أنه من كبائر الذنوب.

[6] فرع : حكم لعن المعين: ١- يجوز لعن الكافرين عمومًا. ٢- يجوز لعن العصاة من المسلمين عمومًا ، ٣- لا يجوز لعن المسلم المصون ، ٤- لا يجوز لعن الحيوان أو الجماد . هذه الأربعة متفق عليها.
أما المختلف فيه عند العلماء : ١- لعن المسلم الفاسق المعين فهذا عند الجمهور لا يجوز وهو **الراجح** (ابن تيمية) خلافًا لابن الجوزي. ٢- لعن الكافر المعين الحي عند الجمهور لا يجوز وهو **الراجح** . ٣- لعن من مات كافرًا بعينه فهو يجوز.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم[1].

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين؛ كيف صبر ذلك على القتل و لم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر؟!

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا؛ لم يقل: **[دخل النار في ذباب]**.

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: **[الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك]**.

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأصنام.

---

[1] وهذه المسألة غير مُسَلَّمَة ، ظاهرالقصة أن الرجل ذبح بنية التقرب.

١٠ – باب

لا يذبح لله بمكان[١] يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا[٢] لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾[٣] التوبة: ١٠٨.

عن ثابت بن الضحاك – رضي الله عنه – قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة[٤]، فسأل النبي ﷺ ؟ فقال: **[هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟]**. قالو: لا قال: **[فهل كان فيها عيد[٥] من أعيادهم؟]**. قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ : **[أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله[٦]، ولا فيما لا يملك ابن آدم[٧]]**. رواه أبوداود، وإسناده على شرطهما.

---

[١] لا يذبح لله بمجاورة المكان الذي يذبح فيه لغير الله، ولا في نفس المكان الذي يذبح فيه لغير الله، لأنه يكون قد شابه أولئك المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها بأنواع العبادات التي يصرفونها لغير الله ، فالذبح لله وحده وإن كان خالصًا له إن كان في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله فإنه لا يحل ولا يجوز بل هو من وسائل الشرك.

[٢] يعود إلى مسجد الضرار.

[٣] مناسبة الآية للباب هي أن الله نهى النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار ومعلوم أن صلاته وصلاة المؤمنين معه خالصة لله، ومع هذا فقد نُهوا عن الصلاة فيه مع أنهم مخلصون، ليس عندهم نية الإضرار ولا التفريق ولا الإرصاد لكن نهاهم عن الصلاة فيه لأجل هذه المشاركة والمشابهة التي قد تغري بإتيان ذلك المكان.

الصورة محققة وموجودة فيمن ذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، فإنه وإن كان مخلصًا لكنه قد يدعو إلى تعظيم ذلك المكان بفعله وإن لم يقصد التعظيم.

[٤] اسم موضع.

[٥] مكانيًا أو زمانيًا.

[٦] ولكن إذا نذر لا يجوز له أن يفي بنذره ولكنه يكفر كفارة يمين.

[٧] ما لا يملك فعله شرعًا أو قدرًا.

فرع: الحكمة من هذه المسألة:

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة؛ ليزول الإشكال.[١]

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.[٢]

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.[٣]

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

١- يؤدي إلى التشبه بالكفار.

٢- يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل.

٣- هذا الفعل يقوي المشركين.

[١] فالمنع من الذبح في هذا المكان أمر مشكل لكن النبي ﷺ بين ذلك بالاستفصال.

[٢] أي إذا وجد الاحتمال.

[٣] قال ابن تيمية: حصور التشبه لا يشترط فيه القصد.

فرع: **إيراد**: وهو أنه جاء الإذن عن الصحابة بالصلاة في الكنيسة فصلاتهم في الكنائس أليست مشابهة للصلاة في مسجد الضرار أو للذبح في مكان يذبح فيه لغير الله؟

أن نهي النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار وعن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله إنما هو لأن صورة العبادة واحدة، فصورة الذبح من الموحد ومن المشرك واحدة، ولهذا فإنه لا تمييز بين الصورتين من حيث الظاهر وإن اختلفت مقاصدهما، فكذلك صلاة النبي ﷺ والصحابة في مسجد الضرار فيها مشابهة من حيث الصورة لصلاة المنافقين، أما الصلاة في الكنيسة فإن صورة الفعل مختلفة.

١١- باب

من الشرك[١] النذر[٢] لغير الله[٣]

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ[٤] وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ الإنسان: ٧.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾[٥] البقرة: ٢٧٠ .

وفي الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: **[من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه]**.

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله؛ فصرفه إلى غير الله شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

[١] المقصود به الشرك الأكبر.

[٢] **النذر**: هو إلزام المكلف نفسه بعبادة لله إما مطلقًا وإما بقيدٍ.

المطلق: بلا قيدٍ، مثل: لله علي نذر أن أصلي ركعتين.، القيد: أن يكون مقابل شيءٍ يحدثه الله له، مثل: إن شفى الله مريضي لله علي كذا وكذا. وهذا النوع الثاني هو الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: **[إنما يستخرج به من البخيل]** رواه مسلم، لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يقاضى عليها. والنذر المطلق لا يدخل في الكراهة.

[٣] مثل أن يقول لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر يريد بذلك التقرب إليهم وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقًا.

[٤] وجه الاستدلال به على كون النذر عبادة هو أن الله مدح الموفين بالنذر ويقتضي ذلك أن الوفاء بالنذر محبوبٌ وما كان كذلك فهو من أنواع العبادات.

[٥] إن الله عَظّم النذر وعَظّم أهله وهذا يدل على أن الوفاء به عبادة محبوبة لله.

١٢- باب
من الشرك[١] الاستعاذة[٢] بغير الله[٣]

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ[٤] بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا[٥] ﴿٦﴾ ﴾ الجن: ٦.

عن خولة بنت حكيم – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[من نزل منـــزلاً[٦]، فقال: أعوذ[٧] بكلمات الله[٨] التامات[٩] من شر ما خلق[١٠]؛ لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك]**. رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

---

[١] المقصود به الشرك الأكبر.

[٢] طلب انكفاف الشر، وهو أن يستعيذ من شرٍ أحدق به.

[٣] الاستعاذة بالمخلوق فيها تفصيل: فإن كان المخلوق لا يقدر عليه فهي من الشرك، وإن كان المخلوق يقدر عليه فيجوز بشرط طمأنينة القلب بالله وتوجهه إلى الله وأن هذا العبد إنما هو سبب.

[٤] أي يلتجئون إليهم مما يحاذرونه.

[٥] خوفًا وذعرًا.

كانوا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يعنون الجن فعاذوا بالجني لأجل أن يكف عنهم الشر مدة مقامهم.

[٦] على سبيل الإقامة الدائمة أو الطارئة.

[٧] ألتجئ وأعتصم.

[٨] القرآن كلام الله وصفة من صفاته.

[٩] الكاملات.

[١٠] من شر المخلوقات التي فيها شر.

فرع: قد يكون الشيء من الشرك ولو حصل فيه منفعة، فلا يلزم من حصول النفع أن ينتفي الشرك، قد يسجد إنسان لملك فيهبه أموالاً وقصورًا.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة؛ قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية؛ من كف شر، أو جلب نفع؛ لا يدل على أنه ليس من الشرك.

١٣- باب

من الشرك[١] أن يستغيث[٢] بغير الله[٣] أو يدعو غيره[٤]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ[٥] مِن دُونِ ٱللَّهِ[٦] مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ[٧] فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ[٨] ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٩] يونس: ١٠٦ – ١٠٧.

وقوله: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[١٠] العنكبوت: ١٧ .

---

[١] أي الشرك الأكبر.

[٢] الاستغاثة هي طلب الغَوْث، وهو إزالة الشدة .

[٣] تكون الاستغاثة شركًا أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وإذا كانت فيما يقدر عليه المخلوق فهي جائزة.

[٤] الدعاء ينقسم إلى قسمين: ١- دعاء ما يقع عبادة فهذا لا يجوز إلا لله.

أ- دعاء مسألة: ما كان فيه طلب وسؤال.

ب- دعاء عبادة: كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ أي لا تعبدوا مع الله أحدًا، يتناول كل صنف من أصناف العبادة.

٢- ما لا يقع عبادة: فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق.

* دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة.

[٥] يعم أنواع العبادة.

[٦] مع الله.

[٧] الذي لا ينفعك ولا يضرك.

[٨] الشرك.

[٩] هذه الآية دلت على النهي عن أن يتوجه أحد إلى غير الله بدعاء المسألة أو العبادة.

[١٠] فليكن ابتغاؤكم الرزق من عند الله وحده.

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ [1] وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً [2] وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ الأحقاف: ٥-٦.

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ [3] أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ [4] قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ النمل: ٦٢ .

روى الطبراني بإسناده؛ أنه كان في زمان النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ [5] من هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ : **[إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله]** [6].

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره؛ صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لاينفع في الدنيا مع كونه كفرا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله؛ كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

---

[1] لو بقي كل عمر الدنيا يدعو ما استجاب له.

[2] كان العابدون للمعبودين أعداء والعكس صحيح.

[3] هم عباد الله الصالحين.

[4] استفهام إنكاري.

[5] استغاثة الصحابة بالنبي ﷺ كانت جائزة.

[6] هذا الرد من النبي ﷺ إنما هو من باب التأدب والبعد عن التعلق بغير الله ، وأن يكون تعلق الإنسان دائمًا بالله وحده فهو يُعَلِّم الأمة أن تلجأ إلى الله وحده إذا وقعت في الشدائد ولا تستغيث إلا به وحده.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، والتأدب مع الله.

١٤- باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ[٢] ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٩١ – ١٩٢.

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ[٣] مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[٤] ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٣ – ١٤.

وفي الصحيح عن أنس، قال: **[شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد، وكُسِرَت رباعيته[٥]، فقال: كيف يفلح قوم شجوا[٦] نبيهم؟ فنزلت:** ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٧] آل عمران: ١٢٨ .

وفيه[٨]: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: **[اللهم العن فلانًا وفلانًا]**؛ بعدما يقول: **[سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد]**؛ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٩] آل عمران: ١٢٨.

---

[١] هذا الباب برهان لاستحقاق الله العبادة وحده دون ما سواه بدليل فطري ودليل واقعي ودليل عقلي.

[٢] هذا إنكار وتوبيخ لهم كيف يشركون الذي لا يَخْلُق شيئًا وهم يُخْلَقون مع أن خالقهم هو الله.

[٣] يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

[٤] اللفافة الرقيقة التي على النواة.

الفتيل: هو سلك يكون في شق النواة.

النقير: هي النقر التي يكون على ظهر النواة.

[٥] السِّنَّان المتوسطان يسميان ثنايا، وما يليهما يسميان رباعيتين.

[٦] الشجة: الجرح في الرأس والوجه خاصة.

[٧] لست تملك شيئًا من الأمر ، فإن كان النبي ﷺ ينفي عنه ذلك الأمر فإنه منفي عمن دونه من باب أولى.

[٨] في الصحيح.

[٩] لا مانع أن يكون لنـــزول الآية سببان.

وفي رواية: (يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام[1]؛ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [2] آل عمران: ١٢٨.

وفيه: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قام[3] فينا رسول الله ﷺ حين أنزلت عليه: ﴿ وَأَنذِرْ [4] عَشِيرَتَكَ [5] ٱلْأَقْرَبِينَ [6] ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤؛ قال: **[يا معشر قريش** (أو كلمة نحوها)[7] **! اشتروا[8] أنفسكم؛ لا أغني عنكم من الله شيئًا[9]. يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا. يا صفية عمة رسول الله ﷺ ! لا أغني عنك من الله شيئًا. ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ماشئت؛ لا أغني عنك من الله شيئًا]**[10].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

---

[1] والثلاثة الذين سماهم قد أسلموا يوم الفتح.

[2] هذا الحديث يجب أن يتخذ عبرة للمعتبر في أنك لا تستبعد رحمة الله من أي إنسان كان عاصيًا.

[3] خطيبًا .

[4] حَذِّر وخَوِّف.

[5] العشيرة : قبيلة الرجل من الجد الرابع فما دون.

[6] الأقرب فالأقرب.

[7] شك من الراوي.

[8] انقذوها.

[9] لا أدفع ولا أنفع.

[10] وهذا الحديث أيضاً ظاهر في أن النبي ﷺ لا يستطيع أن ينفع أحدًا من أقربائه، وأنه لا ينجي أحدًا من عذاب الله بأي وسيلة، بل الذي ينجي هو الإيمان به واتباع ما جاء به.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار؛ منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة:أنزل الله عليه في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨.

السابعة: قوله: ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٢٨، فتاب عليهم؛ فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم، وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أنزل عليه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤.

الثانية عشرة: جِدُّهُ ﷺ في هذا الأمر؛ بحيث فعل ما نُسِبَ بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله ﷺ للأبعد والأقرب: **[لا أغني عنك من الله شيئًا]**، حتى قال: **[يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنك من الله شيئًا]**. فصرح – وهو سيد المرسلين – بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم[1]؛ تبين له التوحيد، وغربة الدين.

---

[1] هؤلاء الخواص يرون أنهم علماء ويراهم من حولهم علماء وأهلاً للتقليد يَدْعون الرسول صلى الله عليه وسلم لكشف الضر وجلب النفع.

١٥- باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ[٢] عَن قُلُوبِهِمۡ[٣] قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ[٤] وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ: ٢٣ .

في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، قال: **[إذا قضى الله الأمر في السماء؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[٥]، ينفذهم[٦] ذلك،** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ: ٢٣، **فيسمعها مسترق[٧] السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض** - وصفه سفيان بن عيينة بكفه، فحَرَّفها وبَدَّدَ بين أصابعه - **فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا كذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء]**.

وعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : **[إذا أراد الله - تعالى - أن يوحي بالأمر؛ تكلم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفة** (أو قال: **رعدة شديدة**) **خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع**

---

[١] مناسبة الترجمة أن هذا من البراهين الدالة على أنه لا يستحق أحد أن يكون شريكًا مع الله لأن الملائكة وهم أقرب ما يكون من الخلق لله يحصل منهم عند كلام الله الفزع.

[٢] هو الخوف المفاجيء ومعناه أنه أزيل الفزع عن قلوبهم.

[٣] الملائكة.

[٤] قال القول الحق.

[٥] الصفوان هو الحجر الأملس الصلب، والسلسلة عليه يكون لها صوت عظيم، والمراد تشبيه ما يحصل لهم من الفزع عندما يسمعون كلامه بفزع من يسمع سلسلة على صفوان.

[٦] إن هذا الصوت يبلغ منهم كل مبلغ.

[٧] كأنه يختلسها اختلاسًا بسرعة.

فرع: المسترقون انقطعوا عن الاستراق في وقت بعثة النبي ﷺ حتى لا يلتبس كلام الكهان بالوحي ثم بعد ذلك زال السبب الذي من أجله انقطعوا.

ذلك أهل السماوات؛ صُعِقوا وخَرّوا لله سُجَّدًا[1]، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء؛ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير[2]. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل][3].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل – عليه السلام – يجيبهم بعد ذلك بقوله: (قال كذا وكذا).

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل – عليه السلام – هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهاب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

---

[1] الصعق يكون قبل السجود فإذا أفاقوا سجدوا.

[2] إن جبريل لا يخبر الملائكة بما أوحى الله إليه بل يقول: قال الحق مبهمًا، ولهذا سمي بالأمين والأمين هو الذي لا يبوح بالسر.

[3] أخرجه ابن خزيمة في التوحيد وضعفه الألباني في ظلال الجنة.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مئة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعة من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل! كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمئة [كذبة]؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها، ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح أن تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

١٦– باب

الشفاعة[١]

وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ[٢] ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ[٣] أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ[٤] لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأنعام: ٥١.

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا[٥] ﴾ الزمر: ٤٤ .

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ[٦] ﴾ البقرة: ٢٥٥ .

وقوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ[٧] ﴿٢٦﴾ ﴾ النجم: ٢٦ .

---

[١] التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

الاستشفاع قسمين : ١– الاستشفاع بميت وهذا شرك أكبر. ٢– الاستشفاع بحي فهذا جائز.

أقسام الشفاعة : ١– الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ : ١– الشفاعة العظمى . ٢– الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها. ٣– الشفاعة في أبي طالب.

٢– الشفاعة العامة له وللمؤمنين: ١– فيمن استحق النار أن لا يدخلها. ٢– فيمن دخل النار أن يخرج منها. ٣– في رفع درجات المؤمنين.

* طلب الشفاعة الحاصلة من النبي ﷺ يوم القيامة تكون بالدعاء فنقول: اللهم شفع فينا نبيك.

[٢] القرآن.

[٣] أهل التوحيد.

[٤] نفي الشفاعة من دون الله أي من دون إذنه.

[٥] لله وحده الشفاعة كلها.

[٦] لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه.

[٧] للتكثير ما أكثر الملائكة في السماء ومع ذلك لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا بعد إذن الله ورضاه.

وللشفاعة شرطان: ١– الإذن من الله . ٢– رضاه عن الشافع والمشفوع له .

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[1] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ[2] وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ[3] وَمَا لَهُۥ[4] مِنْهُم[5] مِّن ظَهِيرٍ[6] ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٢ – ٢٣ .

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة؛ كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده – لا يبدأ بالشفاعة أولاً – ثم يقال له: (ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه له ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **[من قال: لا إله إلا الله؛ خالصًا من قلبه]**.

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. [ولا تكون إلا بإذن الله].

وحقيقتها[7] أن الله – سبحانه – هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه[8]، وينال المقام المحمود[9].

---

[1] صغار النمل.
[2] انتفى عنهم الملك الاستقلالي.
[3] نفى أن يكونوا شركاء لله في الملك.
[4] لله.
[5] الأصنام.
[6] معين.
[7] كيف تحصل.
[8] إظهارًا لفضل الشافع.
[9] المقام الذي يُحمد عليه.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك[1] وتلك منفية مطلقًا، ولهذا أثبت الشفاعة بإذن في مواضع، وتلك قد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص[2]. انتهى كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية:صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أذن له؛ شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

---

[1] الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي فيها شرك من جهة الطلب أو من جهة من سئلت له بأن كان مشركًا فإنها منفية عن هؤلاء.

[2] الشفاعة المثبتة.

١٧- باب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي[1] مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦ .

وفي الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حَضَرَت أبا طلب الوفاة؛ جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية[2] وأبو جهل، فقال له: **[يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله[3]]**. فقالا له: أترغب عن ملة[4] عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ : **[لأستغفرن لك مالم أنه عنك[5]]**. فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ١١٣ ، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ[6] ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦ .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦ .

الثانية: تفسير قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ التوبة: ١١٣.

---

[1] الهداية نوعان: ١- هداية توفيق: وهو أن يجعل الله في قلب العبد من الإعانة الخاصة على قبول الهدى.
٢- هداية دلالة وإرشاد: تدل وترشد إلى صراط مستقيم. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢.
والأولى فقط تكون لله والثانية للأنبياء والدعاة.

[2] أسلم بعد ذلك هو المسيب.

[3] أذكرها حجة لك عند الله.

[4] دين.

[5] هذا هو موطن الشاهد من الحديث أن الاستغفار لم ينفع أبي طالب لأنه مشرك.

[6] يهدي هداية توفيق من يشاء واعلم أن كل فعل يضاف إلى مشيئة الله تعالى فهو مقرون بالحكمة، أي: من اقتضت حكمته أن يهديه فإنه يهديه، ومن اقتضت حكمته أن يضله أضله.

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة: وتفسير قوله: (قل لا إله إلا الله)؛ بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: قل: (لا إله إلا الله)، فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغْفَر له، بل نُهِي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

١٨ – باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو[١] في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ[٢] فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ[ج]﴾ النساء: ١٧١.

في الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ[٣] ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا[٤] ﴿٢٣﴾﴾ نوح: ٢٣ ؛ قال: هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلما هلكوا؛ أوحى[٥] الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا[٦]، وسموها بأسمائهم[٧]، ففعلوا، و لم تُعْبد[٨]، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم؛ عبدت.

وقال ابن القيم: (قال غير واحدٍ من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد[٩] فعبدوهم[١٠]).

---

[١] هو مجاوزة الحد، فإنهم تجاوزوا الحد الواجب في تعظيمهم حتى آل بهم الأمر إلى الشرك.

* الحد الذي أذن به الشرع في حق الصالحين أنهم إذا كانوا من الرسل فبالأخذ بشرائعهم واتباعهم.

* أقسام الناس في العبادة: ١- غلو: كل زيادة في حقهم. ٢- وسط. ٣- جفاء: كل تقصير في حقهم.

[٢] جميع أنواع الغلو في الدين.

[٣] لا تدعن.

[٤] لا تذروا عبادتها أو تمكنوا أحدًا من إهانتها.

[٥] وسوسة.

[٦] كل ما ينصب من عصا أو حجرًا أو غيره.

[٧] لأجل إذا رأيتموهم تتذكروا عبادتهم فتنشطوا عليها.

[٨] كان ذلك سببًا ووسيلة إلى عبادتهم.

[٩] الزمن.

[١٠] فسبب العبادة إذًا هو الغلو في هؤلاء الصالحين حتى عبدوهم.

وعن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: **[لا تطروني[1] كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله[2]]**. أخرجاه.

قال: قال رسول الله ﷺ : **[إياكم والغلو[3]؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو]**.

ولمسلمٍ عن ابن مسعودٍ، أن رسول الله ﷺ قال: **[هلك المتنطعون[4]]**. قالها ثلاثًا.

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب، وبابين بعده؛ تبين غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله، وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شركٍ حدث في الأرض، أنه كان بشبهة الصالحين.

الثالثة: معرفة أول شيءٍ غُيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم[5].

الرابعة: معرفة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل: فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناسٍ من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره[6].

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: معرفة جبلة[7] الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

---

[1] الإطراء: مجاوزة الحد في المدح.

[2] هذا هو الكمال في حقه عليه الصلاة والسلام أن يكون عبدًا رسولاً فهذا أشرف مقاماته عليه الصلاة والسلام.

[3] النهي عن الغلو بأنواعه.

[4] المتنطع: هو المتعمق المتقعر المتشدق سواء كان في الكلام أو في الأفعال، والتنطع والإطراء والغلو متقاربة المعنى يجمعها مجاوزة الحد المشروع.

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تدل على تحريم الغلو.

[5] أول شيء غير به دين الأنبياء هو الشرك، وسببه هو الغلو في الصالحين.

[6] والخير الذي أرادوه هو أن ينشطوا على العبادة ولكن من بعدهم أرادوا غير الخير الذي أراده هؤلاء ويؤخذ منه: أن من أراد تقوية دينه ببدعة فإن ضررها أكثر من نفعها.

[7] الطبيعة التي عليها الإنسان.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن بعض السلف أن البدع سبب للكفر[١]، وأنها أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول البدعة، ولو حسن قصد الفاعل[٢].

العشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة[٣] العكوف على القبر لأجل عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التمثيل والحكمة في إزالتها[٤].

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب العجب: قراءتهم (أي: أهل البدع) إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال[٥].

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة[٦].

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: **[لا تطروني كما طرت النصارى ابن مريم]**، فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم؛ ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.[٧]

---

[١] استدلوا بقوله ﷺ **[كل بدعة ضلالة]** رواه مسلم.

[٢] إن البدعة شر ولو حسن قصد الفاعل أما إذا كان حسن القصد و لم يعلم أن هذا بدعة فإنه يثاب على نيته ولا يثاب على عمله.

[٣] وهي أنها توصل لعبادتهم.

[٤] الحكمة من إزالتها سد ذرائع الشرك.

[٥] المراد أن هؤلاء الغالين اعتقدوا أن المنهي عنه هو الكفر المبيح للدم والمال وأما ما دونه من الغلو فلا نهي فيه.

[٦] ومع ذلك وقعوا في الشرك.

[٧] أي العلم.

الخلاصة: بيان أن الغلو في الصالحين من أسباب الكفر.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب – ١٩

ما جاء من التغليظ[١] فيمن عبد الله[٢] عند قبر رجل صالح[٣]؛ فكيف إذا عبده[٤]؟!

في الصحيح[٥] عن عائشة، أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور[٦]، فقال: **[أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو[٧] العبد الصالح؛ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله]**.

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل[٨].

ولهما: عنها، قالت: لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق يطرح خميصةً[٩] له على وجهه، فإذا اغتم[١٠] بها؛ كشفها، فقال وهو كذلك[١١]: **[لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[١٢]]**؛

---

[١] التشديد.

[٢] مطلقًا.

[٣] هذا الباب في بيان وسائل الشرك الأكبر، صورة ذلك أن يأتي آت إلى قبر رجل صالح، فيتحرى ذلك المكان كي يعبد الله وحده دون ما سواه رجاء بركة هذه البقعة، والنبي ﷺ غلظ في ذلك ونهى عنه مع أن المغلظ عليه لم يعبد إلا الله و لم يعبد صاحب القبر.

[٤] يعني إذا كان هذا التغليظ واللعن قد جاء في حق من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد فكيف إذا توجه ذلك العابد إلى صاحب القبر يدعوه.

[٥] الصحيحين.

[٦] جسور مجسمة وتماثيل منصوبة.

[٧] شك من الراوي.

[٨] كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[٩] كساء مربع له أعلام.

[١٠] أصابه الغم بسببها.

[١١] في هذه الحال.

[١٢] اتخاذ القبور مساجد يكون على إحدى ثلاث صور : ١– أن يسجد على القبر. ٢– أن يصلي إلى القبر ، يكون أمامه بحيث يجعله قبلة. ٣– أن يتخذ القبر مسجدًا بأن يجعل القبر في داخل بناء المسجد.

يحذر من ما صنعوا[١]، ولولا ذلك؛ أُبْرِز قبره[٢]؛ غير أنه خشي أن يُتَّخَذ مسجدًا. أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله، قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[٣] وهو يقول: **[إني أبرأ[٤] إلى الله أن يكون لي منكم خليل[٥]، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك[٦]]**.

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله.

والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجدٌ[٧]، وهو معنى قولها: (خشي أن يتخذ مسجدًا[٨])؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه؛ فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه؛ يسمى مسجدًا[٩]؛ كما قال ﷺ : **[جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا]**.

ولأحمد بسندٍ عن ابن مسعود – رضي الله عنه – مرفوعًا: **[إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياءٌ، والذين يتخذون القبور مساجد]**. ورواه أبو حاتمٍ في صحيحه .

---

[١] أراد تحذير الصحابة من أن يتخذوا في ذلك الأمر حذو أهل الكتاب.

[٢] لأظهر ، وجعل قبره مع سائر القبور في البقيع أو غير ذلك .

[٣] ليال.

[٤] التخلي.

[٥] أعظم درجات المحبة.

[٦] لا تصح الصلاة في مسجد بني على قبر.

فرع: من دفن شخصًا في مسجد وجب عليه نبشه وإخراجه من المسجد.

[٧] الصلاة عند القبور لا تجوز لأنها وسيلة من وسائل الشرك.

[٨] أي مكانًا يصلى فيه وإن لم يبن المسجد.

[٩] مكانًا للسجود.

الخلاصة: أنه لا يجوز بناء المساجد على القبور ، لأنها وسيلة إلى الشرك وهو عبادة صاحب القبر.

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجلٍ صالحٍ، ولو صحت نية الفاعل[1].

الثانية: النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجدًا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.[2]

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمسٍ الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقةً، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

---

[1] التحذير من مشابهة المشركين وإن لم يقصد الإنسان المشابهة.

[2] هؤلاء فعلوا أسباب الشرك والكفر.

فرع: إذا قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر النبي ﷺ الآن فإنه في وسط المسجد فما هو الجواب؟

١- أن المسجد لم يبن على القبر ، بل بني المسجد في حياة النبي ﷺ .

٢- أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد بل دفن في بيته.

٣- أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد، فليس المسجد مبنيًا عليه ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران.

الثانية عشرة: ما بلي به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

٢٠ – باب[١]

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصَيِّرُها[٢] أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالكٌ في الموطإ ؛ أن رسول الله ﷺ قال: **[اللهم[٣] لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد[٤] غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٥]]**.

ولابن جريرٍ بسنده، عن سفيان[٦]، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النجم: ١٩ ، قال: (كان يَلُتُّ لهم السويق[٧]، فمات؛ فعكفوا[٨] على قبره).

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباسٍ: (كان يَلُتُّ السَّوِيق للحاج).

---

[١] معنى هذا الباب مجاوزة الحد في الصفة التي ينبغي أن يكون عليها القبر ، لأن القبور لها حق علينا من وجهين : أ- أن لا نفرط فيما يجب لها من الاحترام فلا تجوز إهانتها ولا الجلوس عليها ، ب- أن لا نغلو فيها فنتجاوز الحد.

فنهي النبي ﷺ عن الكتابة على القبر أو تجصيصه أو رفعه إنما لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين.

[٢] يجعلها.

[٣] إنما سأل النبي ﷺ ذلك لأن من كان قبلنا جعلوا قبور أنبيائهم مساجد وعبدوا صالحين.

[٤] عظم.

[٥] هل استجاب الله دعوة النبي ﷺ أم اقتضت حكمته غير ذلك؟

قال ابن القيم: إن الله استجاب له فلم يُذْكر أن قبره جُعِل وثنًا.

[٦] الثوري.

[٧] هو عبارة عن الشعير يحمص ثم يطحن ثم يخلط بتمر أو شبهه.

[٨] لزوم القبر بتعظيمه.

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – قال:[**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور**[1]**، والمتخذين عليها المساجد والسرج**[2]]. رواه أهل السنن.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرن بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها: صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجلٍ صالحٍ.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.[3]

التاسعة: لعنه زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

---

[1] هذا الحديث يدل على حرمة زيارة النساء للقبور وعلى أنه من الكبائر. و لكن الراجح أنه يجوز أحيانًا للمرأة زيارة القبر بشروط و ضوابط .

[2] لأن اتخاذ السرج على القبور من أنواع الغلو فيها ولأنه يدعو إلى تعظيمها وقد يؤول الأمر بعد ذلك إلى عبادتها.

[3] وهو أنه كان يلت السويق.

٢١ – باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب[١] التوحيد، وسده طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ[٢] عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[٣] حَرِيصٌ عَلَيْكُم[٤] بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨ .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : **[لا تجعلوا بيوتكم قبورًا[٥]، ولا تجعلوا قبري عيدًا[٦]، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني[٧] حيث كنتم]**. رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين[٨] – رضي الله عنهما – أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثك حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؛ قال: **[لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي؛ فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم]**. رواه في المختار.

---

[١] جانب.

[٢] أي: يصعب.

[٣] المشقة، يصعب عليه ما يشق عليكم.

[٤] فمِنْ حِرْصِهِ أَنْ حَمى حِمى التوحيد وسد كل طريق قد توصل بها إلى الشرك.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ.... ﴾ التوبة: ١٢٩: فإن أعرضوا فلا يهمنك إعراضهم بل قل بلسانك وبقلبك: حسبي الله أي كافيني الله.

[٥] لها معنيان: أ. لا تدفنوا فيها.

ب. لا تجعلوها مثل القبور فتدعوا الصلاة فيها.

[٦] اسم لما يعتاد فعله أو التردد إليه لأن اتخاذ القبور عيدًا من وسائل الشرك.

[٧] كيف تبلغه الصلاة عليه ؟

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **[إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون من أمتي السلام]** رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني.

[٨] زيد العابدين.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية (برآءة).

الثانية: إبعاده ﷺ أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه ﷺ علينا، ورأفته، ورحمته.

الرابعة: نهيه ﷺ عن زيارة قبره على وجهٍ مخصوصٍ مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه ﷺ عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه ﷺ على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقررٌ أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد؛ فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

٢٢ – باب[١]

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟[٢] نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ[٣] وَٱلطَّٰغُوتِ[٤] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا[٥] ﴿٥١﴾ ﴾ النساء: ٥١ .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ[٦] وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ[٧] أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ المائدة: ٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ[٨] لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ الكهف: ٢١ .

---

[١] جاء المؤلف بهذا الباب ردًا على من قال بأن هذه الأمة لا تقع في الشرك ولا تعبد الأوثان لأن هذه الأمة معصومة منه مستدلين بقول النبي ﷺ : **[إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم]** رواه مسلم.

[٢] أعطوا.

[٣] صح عن عمر أنه فسر الجبت بالسحر والصحيح أنه عام لكل صنم أو سحر أو كهانة أو ما أشبه ذلك.

[٤] صح عن عمر أنه فسر الطاغوت بالشيطان، والطاغوت يدخل فيه الأنواع الثلاثة التي ذكرها ابن القيم في تعريفه.

[٥] وجه مناسبة هذه الآية للباب أن الإيمان بالجبت والطاغوت وقع من الأمم السالفة وإذا كان قد وقع منهم فسيقع في هذه الأمة.

[٦] قال أبو مسعود القاسمي: وإنما اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال الشرية ليثبت أن دينهم شر من كل شر، أي: هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة بما تعتقدونه شرًا.

[٧] عابد الطاغوت.

[٨] الحكام.

عن أبي سعيدٍ – ﷺ– أن رسول الله ﷺ قال: **[لتتبعن سنن[1] من كان قبلكم حذو[2] القذة بالقذة[3]، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ؛ لدخلتموه][4]**. قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: **[فمن]**؛ أخرجاه.

ولمسلمٍ: عن ثوبان – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: **[إن الله زوى[5] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر[6] والأبيض[7]، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنةٍ[8] بعامةٍ[9]، وألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح[10] بيضتهم[11]، وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنةٍ بعامةٍ، وألا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا[12]]**.

---

[1] بالضم: الطريقة .

بالفتح: الطريق والسبيل.

[2] محاذيًا.

[3] القذة جمع قذاة وهي ريشة السهم، أي: مثلاً بمثل، وجه التشبيه كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى.

[4] الحاصل أنك لا تكاد تجد معصية في هذه الأمة إلا وجدت لها أصلاً في الأمم السابقة، ولا تجد معصية في الأمم السابقة إلا وجدت لها وارثًا في هذه الأمة.

ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، لأن اليهود خالفوا على علم والنصارى خالفت على ضلالة.

[5] جمع وضمها.

[6] ذهب قيصر.

[7] فضة كسرى.

[8] الجدب والقحط.

[9] بمهلكة عامة.

[10] يستحل.

[11] ما يجعل على الرأس وقاية من السهام ، والمراد يظهر عليهم ويغلبهم.

[12] إجابة الله لرسوله ﷺ في الجملة الأولى بدون استثناء وفي الثانية باستثناء.

ورواه البرقاني في صحيحه, وزاد: **[وإنما أخاف على أمتي الأئمة[1] المضلين، وإذا وقع عليهم السيف[2]؛ لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين[3]، وحتى تعبد فئام[4] من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون[5]، كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورةً[6]، لا يضرهم من خذلهم [ولا من خالفهم]، حتى يأتي أمر الله[7] تبارك وتعالى]**.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلبٍ؟ أو هو موافقة أصحابها مع بعضها ومعرفة بطلانها؟[8]

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيدٍ.

السابعة: تصريحه بوقوعها – أعني: عبادة الأوثان – في هذه الأمة في جموع كثيرةٍ.

---

[1] يطلق على الحاكم والعالم.

[2] والسيف وقع عند مقتل عثمان ، ولا يلزم أن السيف على كل الأمة.

[3] الحي: القبيلة، هذا الحي يترك بلاد المسلمين ويذهب إلى أرض المشركين أو يلحق المشركين في الصفات والخصال.

[4] جماعات كثيرة.

[5] المقصود بالثلاثين أي الذين تكون لهم شوكة.

[6] نصرها يكون بالحجة والبيان.

[7] عند قيام الساعة.

[8] فإن كان وافق أصحابها بناءً على أنها صحيحة فهذا كفر، وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة فإنه لا يكفر.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة؛ مثل المختار[1]، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حقٌ، وأن القرآن حقٌ، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله، مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرةٌ.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفةٌ.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه[2] من الآيات[3] العظيمة: منها إخباره ﷺ بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر؛ بخلاف الجنوب والشمال. وإخباره ﷺ بأنه أعطي الكنزين. وإخباره ﷺ بإجابة دعوته لأمته في الثنتين. وإخباره ﷺ بأنه منع الثالثة. وإخباره ﷺ بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع. وإخباره ﷺ بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا. وخوفه ﷺ على أمته من الأئمة المضلين. وإخباره ﷺ بظهور المتنبئين في هذه الأمة. وإخباره ﷺ على ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدةٍ منها أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.[4]

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

---

[1] ابن أبي عبيد الثقفي.

[2] في الحديث.

[3] علامة.

[4] أمراء، علماء، عباد.

فائدة: روى الدارمي عن زياد بن حُدَير قال: قال لي عمر: هل تعلم ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: (يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين) صححه الألباني.

٢٣ – باب[١]

ما جاء في السحر[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ[٣] مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ[٤] ﴾البقرة: ١٠٢ .

وقوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ[٥] بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٥١ .

قال عمر: (الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان)[٦].

وقال جابرٌ: (الطواغيت كهانٌ[٧] كان يترل عليهم الشياطين، في كل حيٍ واحدٌ).

---

[١] مناسبة ذكر السحر لكتاب التوحيد أن السحر نوع من الشرك.

[٢] **السحر لغة**: ما خفي ولطف سببه، وهو على قسمين:

١- عقد ورقى أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

٢- أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته والصرف والعطف يعني: جلب محبة امرأة لزوجها أو صرف محبة المرأة لزوجها أو العكس.

فالأول شرك لأنه يكون بواسطة الشياطين لأنهم لا يخدمون الساحر إلا إذا صرف إليها شيئًا من أنواع العبادة، والثاني عدوان وفسق.

- الصحيح أن تعلم السحر ولو بدون عمل شرك.

* هل يكفر الساحر أم لا يكفر؟ إذا كان من النوع الأول فيكفر وإذا كان من النوع الثاني فلا.

* السحر يؤثر بلا شك، لكنه لا يؤثر بقلب الأعيان إلى أعيان أخرى وإنما يخيل إلى المسحور أن هذا الشيء انقلب...

[٣] اشترى السحر بالتوحيد.

[٤] نصيب.

[٥] اليهود.

[٦] هذا من باب التفسير بالمثال.

[٧] الذي يخبر عن الغيبات في المستقبل.

وكان هؤلاء الكهان تنـزل عليهم الشياطين بما استرقوا من السمع من السماء وكان كل حي من أحياء العرب لهم كاهن يستخدم الشياطين.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **[اجتنبوا السبع الموبقات[1]]**. قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: **[الشرك بالله، والسحر[2]، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[3]، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف[4]، وقذف[5] المحصنات[6] الغافلات[7] المؤمنات]**.

وعن جندبٍ مرفوعًا: **[حد الساحر ضربة بالسيف]**[8]. رواه الترمذي، وقال: الصحيح: أنه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة،؛ قال: **[كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرةٍ]. قال: [فقتلنا ثلاث سواحر]**.

وصح عن حفصة رضي الله عنها؛ **[أنها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها، فقتلت]**.

وكذلك صح عن جندبٍ.

قال أحمد: (عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت، والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

---

[1] المهلكات.

[2] وظاهر كلام النبي ﷺ أنه لا فرق بين أن يكون ذلك بواسطة الشياطين أو العقاقير والأدوية.

[3] بالعدل.

[4] الإدبار والإعراض يوم تلاحم الصفين في القتال مع الكفار.

[5] الرمي.

[6] الحرائر.

[7] العفيفات عن الزنا البعيدات عنه.

– والذي عليه الجمهور أن قذف الرجل كقذف المرأة.

[8] عقوبته الحد ردة شرعًا.

– الحاصل أنه يجب أن نقتل السحرة ولا يستتاب صاحبه متى قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل، ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر؛ فكيف بعده؟!

٢٤ – باب[١]

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفرٍ. حدثنا عوفٌ، عن حيان للعلاء. حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: **[إن العيافة[٢]، والطرق[٣]، والطيرة من الجبت]**.

قال عوفٌ: (العافية: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض). والجبت: قال الحسن: (رنة الشيطان[٤]).

إسناده جيدٌ.

ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه : المسند منه.

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : **[من اقتبس[٥] شعبةً[٦] من النجوم[٧]؛ فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد[٨]]**. رواه أبو داود، وإسناده صحيحٌ.

---

[١] عقد الإمام هذا الباب لبيان شيء من أنواع السحر، لأن من أنواع السحر ما هو شرك أكبر بالله ومنه ما ليس شركًا أكبر. فالحد الذي فيه **[حد الساحر ضربه بالسيف]** رواه الترمذي، لا ينطبق على كل هذه الأنواع.

[٢] عاف الشيء يعافه إذا تركه وهو زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل.

[٣] وكأنه من الطريق ، من طرق الأرض يطرقها إذا سار عليها.

[٤] وحي الشيطان.

[٥] تعلم.

[٦] جزء أو طائفة.

[٧] علم النجوم ، من تعلم بعضًا من علم النجوم.

- علم النجوم قسمان:

١- علم التأثير: الذي يستدل به على الحوادث الأرضية فيستدل بولادة إنسان في هذا النجم على أنه سيكون سعيدًا فهذا محرم.

٢- علم التيسير: ما يستدل به على الجهات والأوقات.

[٨] كلما زاد في تعلم علم النجوم زاد في تعلم السحر.

وللنسائي من حديث أبي هريرة: **[من عقد عقدة ثم نفث[1] فيها، فقد سحر، ومن سحر؛ فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً؛ وكل إليه]**[2].

وعن ابن مسعودٍ، أن رسول الله ﷺ قال: **[ألا هل أنبئكم ما العَضْهُ[3]؟ هي النميمة، القالة[4] بين الناس]**. رواه مسلمٌ.

ولهما: عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: **[إن من البيان[5] لسحرًا]**.

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة، والطرق، والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.[6]

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.[7]

---

[1] النفث بريق خفيف من أجل السحر.

[2] أن القلب إذا تعلق بشيء ورضيه وأحبه وتعلق به فإنه يوكل إليه.

[3] القطع.

[4] نقل القول.

[5] الفصاحة والبلاغة.

حكم البيان إن كان المقصود منه رد الحق وإثبات الباطل فهو مذموم، وإن كان المقصود منه إثبات الحق وإبطال الباطل فهو ممدوح.

[6] هي من السحر، لأنها تفعل ما يفعل الساحر من التفريق بين الناس والتحريش بينهم.

[7] وجه كون البيان سحرًا أنه يأخذ بلب السامع فيصرفه أو يعطفه فيظن السامع أن الباطل حق لقوة تأثير المتكلم ، فينصرف إليه.

٢٥ – باب

ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: **[من أتى عرافًا، فسأله[١] عن شيءٍ، فصدقه؛ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا[٢]]**[٣].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **[من أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمدٍ ﷺ]**. رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم – وقال: صحيحٌ على شرطهما – عن أبي هريرة : **[من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمدٍ[٤] ﷺ]**.

ولأبي يعلى – بسندٍ جيدٍ – عن ابن مسعودٍ مثله موقوفًا.

وعن عمران بن حصينٍ مرفوعًا: **[ليس منا من تَطَيَّر، أو تُطُيِّر له، أو تَكَهَّن، أو تُكُهِّن له، أو سَحَرَ، أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمدٍ ﷺ]**. رواه البزار بإسنادٍ جيدٍ.

ورواه الطبراني بإسنادٍ حسنٍ، من حديث ابن عباسٍ؛ دون قوله: **[ومن أتى . . .]** إلى آخره.

قال البغوي: (العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدماتٍ يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك).

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

---

[١] سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- أن يسأله سؤالا مجردًا فهذا حرام.

٢- أن يسأله فيصدقه فهذا كفر.

٣- أن يسأله ليختبره هل هو صادق أو كاذب لا لأجل أن يأخذ بقوله فهذا لا بأس به.

٤- أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه وهذا مطلوب وقد يكون واجبًا.

[٢] المقصود أنها تقع مجزئة لا يجب عليها قضاؤها ، ولكن لا ثواب له فيها ، لأن الذنب والإثم الذي اقترفه حين أتى العراف فسأله عن شيء يقابل ثواب الصلاة ٤٠ يومًا فأسقط هذا هذا.

[٣] أخرجه مسلم (رقم ٢٢٣٠) وليس فيه جملة : [فصدقه بما يقول] وهي عند أحمد.

[٤] وهو قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ النمل: ٦٥ .

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير[1].

وقال أبو العباس بن تيمية: (العراف: اسم للكاهن، والمنجم[2]، والرمّال، ونحوهم[3]، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق).

وقال ابن عباسٍ في قومٍ يكتبون (أبا جادٍ)، وينظرون في النجوم: (ما أرى من فعل ذلك عند الله من خلاقٍ).[4]

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفرٌ.

الثالثة: ذكر من تكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد[5].

---

[1] كيف يعرف الشيطان ما في نفسي؟ أن الشيطان يوسوس لك فأحيانًا هو الذي يولد الخاطرة في ذهنك فيعرفها.

[2] الذي يدعي معرفة الغيب عن طريق النجوم.

[3] مثل الذين يقرؤون الكف والفنجان والبروج.

[4] ظاهر كلام ابن عباس ﵄ أنه يكفرهم.

* ذكر ابن تيمية أن استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات:

١- أن يستخدمهم في طاعة الله كأن يكون له نائبًا في تبليغ الشرع فهذا لا بأس به.

٢- أن يستخدمهم في أمور مباحة فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة.

٣- أن يستخدمهم في أمور محرمة فهذا حرام.

[5] أباجاد : وهي أبجد هوز حُطّي كَلِمُن سَعْفص قرشت ثخذ ضظغ.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

---

* تعلم أباجاد ينقسم إلى قسمين:

1- تعلم مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل، مثل تعارف كثير من أهل العلم أنهم يؤرخون للسنة التي توفي فيها العالم الفلاني أو ولد فيها أو حصل فيها حدث معين، لا يؤرخون لها برقم وإنما بحروف لأنها كلمة وهي أسهل.

2- محرم، وهو كتابة أباجاد كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها هذا العلم يعتقدون أن لكل حرف من الأحرف العربية رقم وهم عن طريق هذه الأرقام يزعمون معرفة الغيب، وهذا عند الصوفية.

٢٦ – باب

ما جاء في النُّشرة

عن جابرٍ، أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: **[هي من عمل الشيطان]**. رواه أحمد بسندٍ جيدٍ، وأبو داود، وقال: (سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعودٍ يكره هذا كله[١]).

وفي البخاري عن قتادة: **[قلت لابن المسيب: رجل به طبٌّ[٢] أو يؤخذ عن امرأته[٣]؛ أيحل عنه أو ينشر[٤]؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع؛ فلم ينه عنه]**. انتهى.

وروي عن الحسن؛ أنه قال: **[لا يحل السحر إلا ساحرٌ]**.

قال ابن القيم: (النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيقترب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور[٥]، والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة؛ فهذا جائزٌ).[٦]

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.[٧]

الثانية: الفرق بين المنهي عنه، والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

---

[١] الكراهة التحريمية يراد بها النشرة التي من الشيطان.

[٢] سحر.

* سمي السحر طبًا من باب التفاؤل.

[٣] أي: يؤخذ عنها فلا يتمكن من جماعها.

[٤] لا فرق بينهما.

[٥] وهي ممنوعة.

[٦] وهذا يحمل قول ابن المسيب.

[٧] فإن حكم حل السحر بمثله أنه لا يجوز ومحرم بل هو شرك بالله لأنه لا يحل السحر إلا ساحر.

٢٧ – باب

ما جاء في التطير[١]

وقول الله تعالى: [٢]﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ [٣] وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ الأعراف: ١٣١.

وقوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ [٤] أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ [٥] بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ [٦] ﴿١٩﴾ ﴾ يس: ١٩.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **[لا عدوى[٧]، ولا طيرة، ولاهامة[٨]، ولا صفر[٩]]**.

أخرجاه.

---

[١] هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

* حكم الطيرة: إذا اعتقد أن الطيرة مؤثرة بنفسها فهذا شرك أكبر، وإذا اعتقد ما تطير به سبب للشر فهذا شرك أصغر.

[٢] ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾ : إذا أصابهم خير وزيادة في الرزق فهو من عندهم، ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ إذا أصابهم جدب أو نقص في الأرزاق قالوا هذا بسبب شؤم موسى وأصحابه.

[٣] أن سبب ما يأتيهم من الحسنات أو ما يأتيهم من السيئات من جهة القضاء والقدر فهو عند الله.

[٤] أي مصاحب لكم فيما يحصل لكم فإنه منكم ومن أعمالكم فأنتم السبب في ذلك.

[٥] (أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ): أإن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا.

[٦] الذين تطيروا بأولئك هم المشركون أصحاب تلك القرية حيث قالوا: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ ﴾ يس: ١٨: تشاءمنا بكم ﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ يس: ١٨.

- الآية الأولى : أي أن الله هو المـُقدّر والخالق.
- الآية الثانية : أن سبب ما أصابكم بسبب ذنوبكم.

[٧] أي أن المرض لا يمكن أن ينقل بنفسه وإنما ينتقل بتقدير الله. فالمنفي ليس وجودها وإنما هو تأثيرها. وإذا اعتقد أن المرض ينتقل بنفسه فهو مشرك شركًا أصغر.

[٨] بومة. يعتقدون أن هذا دليل قرب أجله.

[٩] شهر صفر يتشاءمون فيه.

زاد مسلمٌ: **[ولا نَوْء[1]، ولا غول[2]]**.

ولهما: عن أنسٍ؛ قال: قال رسول الله ﷺ : **[لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل]**. قالوا: وما الفأل؟ قال: **[الكلمة الطيبة[3]]**.

ولأبي داود بسندٍ صحيحٍ: عن عقبة بن عامر، قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ ، فقال: **[أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره؛ فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات[4] إلا أنت، ولا يدفع السيئات[5] إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك]**.

وله: من حديث ابن مسعودٍ مرفوعًا: **[الطيرة شركٌ، الطيرة شركٌ، وما منا إلا[6]، ولكن الله يذهبه بالتوكل]**. وراه أبو داود، والترمذي، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ[7].

ولأحمد من حديث ابن عمر: **[من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك]**[8]. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال:

---

[1] مفرد أنواء وهي منازل القمر له ٢٨ مترلاً ١٤ يمانية ١٤ شامية لكل ليلة مترل ، المقصود أن النوء ليس هو محدث للمطر.

[2] مفرد غيلان وهو تشكل الشياطين بأشكال مختلفة ، التي ينفي تأثيرها فهي لا تضر إلا بإذن الله.

[3] لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات يكون من باب حسن الظن بالله، فالفأل حسن الظن بالله والتشاؤم سوء الظن بالله، ومعلوم أن العبد مأمور بأن يحسن الظن بربه.

* الفأل: يحثك على العمل.

الفأل يكون كالطيرة إذا كان هو السبب على إقدامك للعمل يعني لولا هذا الفأل لما فعلت فهذا مذموم، أما إذا كان الفأل يشرح صدرك ويدفعك إلى الفعل أكثر فهذا محمود.

[4] الخير.

[5] الشر.

[6] إلا إذا وقع في قلبه شيء من التطير، و لم يقلها كراهية، معنى هذا أن من وقع في قلبه التطير و لم ترده الطيرة فإن ذلك لا يضر.

[7] أنه إذا خطر له عارض التطير، فتوكل على الله وسلم إليه، و لم يعمل بذلك الخاطر غفر الله له، و لم يؤاخذه به.

[8] هذا هو ضابط الطيرة التي تكون شركًا.

[أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك[1]**، ولا إله غيرك]**.

وله من حديث الفضل بن عباس: **[إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**[2]**]**.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ ﴾ الأعراف: ١٣١،

مع قوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ يس: ١٩.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحبٌ.

السابعة: تفسير الفأل[3].

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهيته لا يضرب بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شركٌ.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

---

[1] لن يحصل إلا قضاؤك الذي قضيته.

[2] لا ما حدث في قلبك و لم تلتفت إليه.

[3] هذا التفسير تفسير بالمثال.

٢٨ – باب

ما جاء في التنجيم[١]

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: **[خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا[٢] للشياطين، وعلاماتٍ يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك[٣]؛ أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به]**. انتهى.

وكره[٤] قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حربٌ[٥] عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد، وإسحاق.

وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ : **[ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة[٦]: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدقٌ بالسحر[٧]]**. رواه أحمد، وابن حبان في: صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

---

[١] هو تعلم علم النجوم، وينقسم إلى قسمين:

١- علم التأثير: أ- أن تعتقد أن النجوم مدبرة لهذا الكون فهذا شرك أكبر وهذه عقيدة الصائبة. ب- أن يجعلها سببًا لادعاء علم الغيب فهذا شرك أكبر. ج- أن يجعلها سببًا لحصول الخير والشر فهذا شرك أصغر.

٢- علم التيسير: أ- أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية فلا بأس به مثل معرفة جهة القبلة. ب- أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية مثل الجهات.

[٢] الرمي.

[٣] أي ما يزعمه المنجمون في علم التأثير.

[٤] كراهية تحريم، وقولهم ضعيف.

[٥] من أصحاب أحمد.

[٦] المقصود أنه لا يدخل أو الداخلين سيعذب ثم يدخل الجنة.

[٧] الذي يعتقد أن الساحر على حق ووجهه أن علم التنجيم نوع من السحر.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيءٍ من السحر، ولو عرف أنه باطلٌ.[1]

---

[1] لأنه يؤدي إلى إغراء الناس به وبتعلمه وبممارسته.

٢٩ – باب

ماجاء في الاستسقاء[١] بالأنواء[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ[٣] ﴿٨٢﴾ ﴾ الواقعة: ٨٢ .

وعن أبي مالكٍ الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **[أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية[٤] لا يتركونهن: الفخر بالأحساب[٥]، والطعن[٦] في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة]**. وقال: **[النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ[٧] من قطرانٍ[٨]، ودرعٌ من جربٍ]**. رواه مسلمٌ.

---

[١] أن تطلب منها أن تسقيك . وينقسم إلى قسمين:

١- شرك أكبر : أ- أن يدعو الأنواء بالسقيا. ب – أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله.

٢- شرك أصغر: هو أن يجعل هذه الأنواء سببًا مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل.

[٢] النجوم.

[٣] وتجعلون شكر رزقكم أي شكر ما رزقكم الله من النعم ومن المطر أنكم تكذبون بأن النعمة من عند الله بنسبتها لغير الله وإضافتها إلى الأنواء.

[٤] كل ما ينسب إلى الجاهلية فهو مذموم ومنهي عنه.

[٥] التعالي والتكبر.

[٦] القدح.

[٧] الثوب السابغ كالدرع.

[٨] الزفت.

ولهما: عن زيد بن خالدٍ – رضي الله عنه – قال: صلى لنا[1] رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر[2] سماءٍ[3] كانت من الليل، فلما انصرف[4]؛ أقبل على الناس. فقال: **[هل تدرون ماذا قال ربكم؟]**. قالوا: الله ورسوله أعلم[5]. قال: **[قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي، وكافرٌ، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب[6]]**.

ولهما[7] من حديث ابن عباسٍ معناه، وفيه: **[قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا. فأنزل الله هذه الآيات:** ﴿ ۞ فَلَآ[8] أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٨٢ .

---

[1] إمامًا.

[2] عقب.

[3] مطر.

* نسبة المطر إلى النوء تنقسم ثلاثة أقسام:

١- نسبة إيجاده فهذه شرك أكبر.

٢- نسبة سبب فهذه شرك أصغر.

٣- نسبة وقت وهذه جائزة.

[4] من صلاته.

[5] هذه من الكلمات التي تقال في حياته وأما بعد وفاته فإذا سئل المرء عما لا يعلم فليقل: لا أدري، أو فليقل: الله أعلم، ولا يقل: الله ورسوله أعلم، لأن ذكر علم النبي صلى الله عليه وسلم مقيد بحياته الشريفة.

[6] النجم.

[7] في مسلم.

[8] للتنبيه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة.

الخامسة: قوله: **[أصبح من عبادي مؤمن بي وكافرٌ]**؛ بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: **[لقد صدق نوء كذا وكذا]**.[1]

التاسعة: إخراج العالم للتعليم للمسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: **[أتدرون ماذا قال ربكم؟]**.

العاشرة: وعيد النائحة.

---

[1] هذا قريب من قوله " مطرنا بنوء كذا " لأن الثناء بالصدق على النوء مقتفاه أن هذا المطر بوعده ثم بتنفيذ وعده.

٣٠ – باب[1]

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا[2] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ[3] ﴾ البقرة: ١٦٥.

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ[4] ﴾ إلى قوله: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤ .

عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: **[لا يؤمن[5] أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين]**[6]. أخرجاه.

ولهما: عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: **[ثلاثٌ من كن فيه؛ وجد بهن حلاوة[7] الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله[8]، وأن يكره أن يعود في الكفر[9] بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار]**.

---

[1] هذا الباب والأبواب التي بعده شروع من الإمام في ذكر العبادات القلبية وابتدأها بباب المحبة.

- * المحبة تنقسم إلى قسمين :

١– محبة عبادة: يكون معها الرعب والرهب (المحبة الخاصة) فقط تكون لله.

٢– محبة ليست عبادة في ذاتها: أ– محبة في الله ، ب– محبة طبيعية.

[2] الشبيه أو النظير.

[3] أن المشركين يحبون الأنداد كحبهم لله.

[4] محبة النبي صلى الله عليه وسلم هي محبة في الله ليست محبة مع الله لأن الله هو الذي أمرنا بحب النبي صلى الله عليه وسلم.

[5] الإيمان الكامل.

[6] يؤخذ من هذا الحديث وجوب تقديم قول الرسول صلى الله عليه وسلم على قول كل الناس، والذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة فإنه يسعى في اتباع سنته وفي امتثال أمره وفي اجتناب نهيه والاهتداء بهديه.

[7] اللذة.

[8] كانت محبته لذلك المحبوب لأجل أمر الله.

[9] هذه الصورة في كافر أسلم.

وفي رواية: **[لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى...]** إلى آخره.

وعن ابن عباسٍ؛ قال: **[من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك**[1]**، ولن يجد عبدٌ طعم الإمان – وإن كثرت صلاته وصومه – حتى يكون كذلك، وقد صار عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، ذلك لا يجدي على أهله شيئًا]** رواه ابن جرير.

وقال ابن عباسٍ في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾[2] البقرة: ١٦٦ ؛ قال: المودة.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية (برآءةٌ).

الثالثة: وجوب محبته ﷺ، [وتقديمها] على النفس، والأهل، والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوةً قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعم الإيمان إلا بها.[3]

السابعة: فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ البقرة: ١٦٦.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًا شديدًا.

العشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله؛ فهو الشرك الأكبر.

---

[1] إنما يكون العبد وليًا من أولياء الله بهذا الفعل.

[2] كل ما ظنوه سببًا نافعًا ينفعهم عند الله فإنه سينقطع يوم القيامة.

[3] الحب في الله ، والبغض في الله ، والولاء في الله ، والعداء في الله.

٣١ – باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ[٢] فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٥.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ[٣] فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ التوبة: ١٨.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ[٤] ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ[٥] وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ العنكبوت: ١٠ – ١١ .

---

[١] باب الخوف: والخوف أقسام:

١- خوف العبادة والتذلل والتعظيم وهو ما يسمى بخوف السر، وهذا لا يصلح إلا لله مثل من يخاف من الأصنام أو الأموات.

٢- الخوف المحرم: وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب أو البعد عن المحرم.

٣- الخوف الطبيعي.

[٢] يجعل الشيطان أهل التوحيد في خوف من أعدائهم.

[٣] الخشية أخص من الخوف تكون مع العلم وعظمة المخشي.

[٤] الإيذاء.

[٥] حينئذٍ يكون قد خاف من هؤلاء كخوفه من الله، لأنه جعل إيذاءهم كعذاب الله، ففر منه بموافقة أمرهم، خاف منها وترك ما أوجب الله عليه، أو أقدم على ما حرم الله عليه، خشية من كلام الناس.

وفي هذه الآية من الحكمة العظيمة وهي ابتلاء الله للعبد لأجل أن يمحص إيمانه.

عن أبي سعيدٍ – رضي الله عنه – مرفوعًا: **[إن من ضعف اليقين[1] أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله[2]، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله[3]، إن رزق الله لا يجره حرص حريصٍ، ولا يرده كراهية كارهٍ[4]]**.

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس[5] رضا[6] الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس[7]]**. رواه ابن حبان في ((صحيحه)).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية (برآءةٌ).

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

---

[1] من أسباب ضعف الإيمان.

[2] إذا أعطوك شيئًا حمدتهم ونسيت المسبب وهو الله .

[3] لو أن إنسانًا جاء إلى شخص يوزع دراهم فلم يعطه فسبه وشتمه فهذا من الخطأ لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

[4] أن رزق الله إذا قدر للعبد فلن يمنعه منه كراهية كاره.

[5] طلب.

[6] أسباب رضاه.

[7] خوفًا منهم حتى يرضوا عنه فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى.

– يجب على المرء أن يجعل الخوف من الله فوق كل خوف.

٣٢ – باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ [٢] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المائدة: ٢٣ .

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢ .

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ [٣] ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤ .

وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣ .

وعن ابن عباسٍ؛ قال: [﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٣ ؛ **قالها إبراهيم – عليه السلام – حين ألقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ [٤] قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾** آل عمران: ١٧٣ . رواه البخاري، والنسائي.

---

[١] التوكل: هو الاعتماد على الله في حصول المطلوب ودفع المكروه، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها.

* التوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١– توكل عبادة فهذا فقط لله.

٢– الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وهذا شرك أصغر. (اعتماد افتقار).

٣– أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه فهذا لا شيء فيه.

* التوكل على غير الله له حالات:

١– يكون شركًا أكبر وهو أن يتوكل على أحد من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢– أن يتوكل على المخلوق فيما أقدره الله عليه فهذا شرك أصغر.

لا يجوز أن نقول توكلت على الله ثم عليك لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل لأن التوكل عمل قلب.

[٢] اعتمدوا.

[٣] الكافي.

أي: كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين.

* الآيات دلت على أن التوكل عبادة لأن الإفراد بها لله وحده فإنه شرط في صحة الإسلام والإيمان.

[٤] أبا سفيان ومن معه.

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم، ومحمدٍ ﷺ في الشدائد.

٣٣ – باب[١]

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ[٢] اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ٩٩.

وقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ[٣] مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ[٤] ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦.

وعن ابن عباسٍ، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: **[الشرك بالله، واليأس[٥] من روح[٦] الله، والأمن من مكر الله[٧]]**.

وعن ابن مسعودٍ، قال: **[أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله]**. رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

---

[١] هذا الباب اشتمل على موضوعين: ١– الأمن من مكر الله ٢– القنوط من رحمة الله.

[٢] المكر : هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر.

[٣] أشد اليأس، فالقنوط من رحمة الله لا يجوز لأنه سوء ظن بالله.

[٤] فاقد الهداية.

[٥] فقد الرجاء.

[٦] الرحمة وهو الفرج والتنفيس.

[٧] بأن يعصي الله مع استدراجه بالنعم.

٣٤ – باب

من الإيمان بالله الصبر[١] على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ[٢] يَهْدِ قَلْبَهُۥ[٣] وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١ .

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم[٤].

وفي: صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ ؛ قال: **[اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ[٥]: الطعن في النسب، والنياحة على الميت]**.

ولهما: عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: **[ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية]**.

وعن أنسٍ، أن رسول الله ﷺ قال: **[إذا أراد الله بعبده الخير؛ عجل له بالعقوبة في الدنيا[٦]، وإذا أراد بعبده الشر؛ أمسك بذنبه، حتى يوافي[٧] به يوم القيامة]**.

---

[١] **الصبر** لغة: الحبس، اصطلاحًا: حبس اللسان عن التشكي، وحبس القلب عن السخط، وحبس الجوارح عن إظهار السخط.

وهو ثلاثة أقسام: ١- الصبر على طاعة الله ، ٢- الصبر عن معصية الله ، ٣- الصبر على أقدار الله.

[٢] الإيمان بقدره.

[٣] للصبر.

[٤] الصبر على المصائب واجب من الواجبات، والناس حال المصيبة على مراتب:

أ- التسخط (بالقلب، اللسان، الجوارح).

ب- الصبر.

جـ - الرضا وهو أن يكون الأمران عنده سواء.

ء- الشكر وهو أعلى المراتب.

[٥] خصلتان من شعب الكفر.

[٦] إصابة الإنسان بالمصائب تعتبر تكفير لسيئاته وتعجيلاً للعقوبة في الدنيا.

وقد تكون المصائب أكبر من المعائب ليصل المرء بصبره أعلى درجات الصابرين، معنى ذلك أن العبد قد يذنبُ ذنبًا يراه في نفسه أنه صغيرًا فيصاب بابتلاء أكبر من هذا الذنب وهذا العيب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[من يرد الله به خيرًا يصب منه]** رواه البخاري.

[٧] يجازيه.

وقال النبي ﷺ: **[إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**[1]، **وإن الله – تعالى – إذا أحب قومًا؛ إبتلاهم، فمن رضي**[2]؛ **فله الرضا، ومن سخط**[3]؛ **فله السخط]**. حسنه الترمذي.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية اتغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.[4]

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

---

[1] كلما كان البلاء أشد وصبر الإنسان صار الجزاء أعظم.

[2] الرضا بقضاء الله من حيث إنه قضاء الله.

[3] أن يقوم في قلبه عدم محبة ذلك الشيء وكراهته، وعدم الرضا به، واقمام الحكمة فيه.

[4] أي الصبر على أقدار الله.

٣٥ – باب

ما جاء في الرياء[1]

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ .

عن أبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: **[أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي غيري؛ تركته وشركه[2]]** [3]. رواه مسلمٌ.

وعن أبي سعيدٍ مرفوعًا: **[ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟]**. قالوا: بلى. قال: **[الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ]**. رواه أحمد.

---

[1] **الرياء** : أن يعبد الله ليراه الناس فيمدحوه على كونه عابدًا.

الرياء قسمان : ١- رياء المسلم : مثل أن يحسّن صلاته من أجل نظر رجل إليه.

٢- رياء المنافق : رياء في أصل الدين.

الرياء ينقسم باعتبار إبطاله للعبادة إلى قسمين:

١. أن يكون في أصل العبادة: أي أنه ما قام يتعبد إلا للرياء: فهذا عمله باطل.
٢. أن يكون الرياء طارئًا على العبادة: فهذا ينقسم إلى قسمين:
   أ. أن يدافعه، فهذا لا يضره.
   ب. أن يسترسل معه، وهذا له حالتان:
      ١. أن يكون آخر العبادة مبنيًا على أولها كالصلاة فهذه كلها فاسدة.
      ٢. أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها كالصدقة فهذه الأولى صحيحة والثانية فاسدة.

فرع: ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس عبادته، لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة.

فرع: ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه بل ذلك دليل على إيمانه.

فرع: العمل الصالح: هو ما كان خالصًا صوابًا: أي أن يكون خالصًا لله وحده، متابعًا لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

[2] عمله الذي أشرك فيه.

[3] فالله لا يقبل عملاً له فيه شرك أبدًا، ولا يقبل إلا العمل الخالص له وحده.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله، لكن يزينها لما يرى من نظر الرجل إليه.

باب[1] – ٣٦

من الشرك[2] إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ[3] إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ[4] ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ[5] وَحَبِطَ[6] مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[7] ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ – ١٦.

وقال رسول الله ﷺ: **[تعس[8] عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة[9]، تعس عبد الخميلة[10]، إن أعطي؛ رضي، وإن لم يعط؛ سخط[11]، تعس وانتكس[12]،**

---

[1] في الباب السابق يعمل رياءً يريد أن يمدح في العبادة ولا يريد النفع المادي، وفي هذا الباب لا يريد أن يمدح بل يعبد الله مخلصًا له ولكنه يريد شيئًا من الدنيا كالمال والمرتبة والصحة في نفسه، فهو أعم من حال الرياء.

[2] الأصغر.

[3] يعطون ما يريدون.

[4] النقص.

[5] هذا يعني أنهم لن يدخلوا الجنة .

[6] زال عنهم.

[7] أ- يعمل العمل الصالح وهو فيه مخلص لله ولكنه يريد به ثواب الدنيا لا الآخرة، كالصلاة حتى يصح بدنه، أو صلة رحم حتى يطال في عمره ويبارك في رزقه، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثوابه في الدنيا وهو مشرك.

ب- يعمل العمل الصالح لأجل المال مثل أن يدرس ويتعلم العلم الشرعي لأجل الوظيفة فقط وليس في همه رفع الجهالة عن نفسه ، أو حفظ القرآن ليكون إمامًا في المسجد فهذا كذلك داخل فيه.

[8] خاب وهلك، النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم.

[9] نوع من الثياب فيه أهداب.

[10] الصحيح أنها القطيفة، نوع من الفراش مخمل.

[11] إن أعطاه الله مالاً رضي وإن لم يعط سخط.

[12] انقلبت عليه الأمور خلاف ما يريد.

وإذا شيك فلا انتَقَش[1]. **طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان**[2] **فرسه في سبيل الله، أشعث**[3] **رأسه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة؛ كن في الحراسة، وإن كان في الساقة؛ كان في الساقة**[4]**، إن استأذن؛ لم يؤذن له، وإن شفع، لم يشفع]**.

فيه مسائل:

الأولى: الإرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هودٍ.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار، والدرهم، والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله: **[تعس وانتكس]**.

السادسة: قوله: **[وإذا شيك؛ فلا انتقش]**.

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

---

[1] إذا أصابته شوكة فلا يستطيع أن يزيل ما يؤذيه عن نفسه.

[2] مقود.

[3] غير مسرح شعره.

[4] لا يبالي أين وضع يسمع كلام أميره.

فرع: الحديث قسم الناس إلى قسمين: ١- ليس له هم إلا الدنيا.

٢- أكبر همه الآخرة.

٣٧ – باب

من أطاع العلماء[١] والأمراء[٢] في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه؛ فقد اتخذهم أربابًا.

وقال ابن عباسٍ: (يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، وأقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبوبكرٍ وعمر؟)[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبلٍ: (عجبت[٤] لقومٍ عرفوا الإسناد[٥] وصحته يذهبون إلى رأي سفيان[٦]، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك).

وعن عدي بن حاتمٍ: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم[٧]. قال : **[أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟]**. فقلت: بلى. قال: **[فتلك عبادتهم]**. رواه أحمد، والترمذي، وحسنه.

---

[١] العلماء وظيفتهم تبيين معاني ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

[٢] الطاعة الاستقلالية نوع من أنواع العبادة فيجب إفراد الله بها وغير الله إنما يطاع لأن الله أذن بطاعته.

فرع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ النساء: ٥٩ وهم العلماء والأمراء.

فرع: الأمور الاجتهادية التي ليس فيها نص من الكتاب والسنة فإنهم يطاعون في ذلك لما في ذلك من المصالح المرعية في الشرع.

[٣] في الأثر التحذير عن التقليد الأعمى والتعصب المذهبي الذي ليس مبنيًا على أساس سليم.

[٤] إنكار.

[٥] عرفوا صحة الحديث بمعرفة رجاله.

[٦] الثوري.

[٧] لا نسجد لهم ولا نركع ولا نذبح ولا ننذر لهم.

فرع: طاعة الأحبار في التحليل والتحريم على درجتين:

١- أن يطيع العلماء والأمراء في تبديل الدين تعظيمًا لهم فهذا كفر أكبر.

٢- أن يطيعهم من جهة العمل وهو يعلم أنه عاصٍ فهذه معصية.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية (برآءةٌ).

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عديٌّ.

الرابعة: تمثيل ابن عباسٍ بأبي بكرٍ وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تَغَيُّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

فرع: متى تكون طاعتهم كفرًا أكبر:

١- إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله.

٢- إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله.

٣- إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله.

٤- من وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله فهو كافر.

٥- أن يجحد أحقية حكم الله ورسوله.

٣٨ – باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ[٢] أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ النساء: ٦٠ – ٦٢ .

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟[٣] فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة: ١١

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦ .

وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ[٤] يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المائدة: ٥٠.

عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: **[لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه[٥] تبعًا لما جئت به]**. قال النووي: حديثٌ صحيحٌ، رويناه في كتاب الحجة، بإسنادٍ صحيحٍ.

وقال الشعبي: (كان بين رجلٍ من المنافقين ورجل من اليهود خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة[٦]، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أهم يأخذون الرشوة، فاتفقا

---

[١] هذا الباب فيه الإنكار على من أراد التحاكم إلى غير الله ورسوله، فترك تحكيم ما أنزل الله على رسوله كفر.

[٢] وهم كاذبون.

[٣] إفساد حسي ومعنوي (الشرك والمعاصي).

[٤] كل حكم خالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

[٥] الميل، إذا كان لا يهوى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية فإنه ينتفي عنه الإيمان بالكلية.

[٦] لا تكون محرمة إلا إذا أراد الإنسان أن يتوصل بها إلى باطل أو دفع حق، أما من بذلها ليتوصل بها إلى حق له مُنع منه أو ليدفع بها باطلاً عن نفسه فليست حرامًا على الباذل أما على آخذها فحرام.

على أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [النساء: ٦٠]).

وقيل: ((نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله))[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة: ١١.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الأعراف: ٥٦ .

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ المائدة: ٥٠.

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق، والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.

---

[١] هذه القصة والتي قبلها تدل على أن من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كافر يجب قتله.

٣٩ – باب[١]

من جحد[٢] شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ[٣] قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ[٤] ﴿٣٠﴾ ﴾ الرعد: ٣٠ .

وفي صحيح البخاري: قال عليٌّ: **[حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!]**[٥].

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووسٍ، عن أبيه، عن ابن عباسٍ: **[أنه رأى رجلاً انتفض[٦] لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فرق[٧] هؤلاء؟ يجدون رقةً[٨] عند**

---

[١] ذكر المصنف هذا الباب من أجل أن يبين أن تعظيم الأسماء والصفات من كمال التوحيد وأن جحد الأسماء والصفات منافٍ لأصل التوحيد.

[٢] هو الإنكار، وهو نوعان:

١- إنكار تكذيب وهو كفر بلا شك.

٢- إنكار تأويل: يتأولها إلى معنى يخالف ظاهرها وهذا نوعان:

أ- أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

ب- أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية فهذا كفر.

[٣] يكفرون بهذا الاسم لا بالمسمى.

[٤] في الآية دليل على أن من أنكر اسمًا من أسمائه تعالى فإنه يكفر.

[٥] أي بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم حتى لا يفتنوا.

فرع : هل ندع الحديث بما لا تبلغه عقولهم وإن كانوا محتاجين لذلك؟

لا ندعه، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم وذلك بأن ننقلهم رويدًا رويدًا حتى يتقبلوا هذا الحديث: ومثل ذلك العمل بالسنة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها فإننا نعمل بها ولكن بعد أن نخبرهم بها.

[٦] اهتز جسمه.

[٧] ما خوف هؤلاء من اثبات الصفة.

لأنه فهم من هذه الصفة المماثلة أو التشبيه فخاف من تلك الصفة.

[٨] اللين والقبول.

محكمه[1]، **ويهلكون**[2] **عند متشابهه**[3]؟] انتهى.

ولما سمعت قريشٌ رسول الله ﷺ يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ ﴾ الرعد: ٣٠.

فيه مسائل:

الأولى: عدم[4] الإيمان بجحد شيءٍ من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة: أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ ، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباسٍ لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

---

[1] هو الذي اتضح معناه و لم يحتج إلى بيان.

[2] خافوا وأولوا.

[3] هو الذي يخفى معناه واحتاج إلى بيان.

[4] انتفاء.

٤٠ – باب[1]

قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ[2] ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا[3] وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ النحل: ٨٣.

قال مجاهدٌ ما معناه: (هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي[4]).

وقال عوان بن عبد الله: (لولا فلانٌ؛ لم يكن كذا[5]).

وقال ابن قتيبة: (يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا)[6].

وقال أبوالعباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: **[وأن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ...]** الحديث، وقد تقدم: (وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

---

[1] مناسبة هذا الباب أنه من الشرك تضيف النعمة إلى السبب متناسيًا المسبب وهو الله.

[2] ما هي نعمة الله في هذه الآية؟

المعنوية الإعراض عنها (كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم) ، ب – المادية (كرزقهم ..) والمقصود نسبتها إلى غير الله.

[3] يعرفون بقلوبهم أنها من الله ولكنهم بألسنتهم ينسبونها إلى غيره أو بالعكس.

[4] إذا قلت هذا القول قاصدًا أن هذا السبب لحصولك على المال فهذا لا حرج فيه دون أن تتناسى المسبب ، وإذا قلت هذا القول متناسيًا المسبب وهو الله فهنا تقع في الحرج الشرعي.

[5] هذا القول فيه تفصيل:

١- شرك أكبر: أن يكون سببًا لا تأثير له إطلاقًا كأن يقول: لولا الولي الفلاني لكان كذا وكذا وهذا ميت.

٢- شرك أصغر: إذا قلت هذا القول متناسيًا المسبب والمنعم وهو الله مع اعتقادك بأن الله هو الفاعل.

٣- مباح: إذا قلته معتقدًا أن المسبب هو الله وعند قولك لهذا القول لا تنسى أن المنعم والمتفضل هو الله.

[6] إذا حصلت لهم نعمة توجهوا للأولياء والأنبياء والأصنام.

قال بعض السلف: (هو كقولهم: كانت الريح طيبةً، والملاح حاذقًا[1]... ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنه كثيرٍ)[2].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثيرٍ.

الثالثة: تسمية هذا الكلام: إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

---

[1] مُجيدًا للقيادة.

[2] فيضيفون الشيء إلى سببه وينسون الخالق جل وعلا.

باب – ٤١

قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] البقرة: ٢٢ .

قال ابن عباسٍ في الآية: (الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ[٢] سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يافلان، وحياتي[٣]، وتقول: لولا كليبة هذا؛ لأتانا اللصوص[٤]، ولولا البط في الدار؛ لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت[٥]، وقول الرجل: لولا الله وفلانٌ؛ لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شركٌ[٦]). رواه ابن أبي حاتمٍ.

وعن عمر بن الخطاب – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: **[من حلف بغير الله؛ فقد كفر، أو أشرك]**. رواه الترمذي، وحسنه، وصححه الحاكم. وقال ابن مسعودٍ: **[لأن أحلف بالله كاذبًا، أحب إلي من أحلف بغيره صادقًا]**[٧].

وعن حذيفة – ﷺ – عن النبي ﷺ قال: **[لا تقولوا: ما شاء الله وفلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلانٌ]**. رواه أبو داود بسندٍ صحيحٍ.

وجاء عن إبراهيم النخعي: (أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك). قال: (ويقول: لولا الله ثم فلانٌ، ولا تقولوا: لولا الله وفلانٌ).

---

[١] فلا تجعلوا له نظيرًا أو شبيهًا في العبادة.

فرع: الشرك الخفي نوعان :

١- شرك المقاصد والنيات ، ٢- شرك الألفاظ.

[٢] الصخرة الملساء.

[٣] إذا اعتقد الحالف أن المقسم به بمترلة الله في العظيمة فهو شرك أكبر، وإلا فهو شرك أصغر.

[٤] له نفس حكم الأحوال الثلاثة.

[٥] فيه شرك لأنه شَرّك غير الله مع الله بالواو، فإن اعتقد أنه يساوي الله فهو مشرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك فهو مشرك أصغر. والصواب أن يقول ما شاء الله ثم شئت.

[٦] درجة كاملة: لولا الله ما حصل كذا.

درجة جائزة: لولا الله ثم فلان ما حصل كذا، والباقي ممنوع.

[٧] القسم بالله كاذبًا من الكبائر ، والقسم بغير الله شرك أصغر.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة – رضي الله عنهم – يفسرون الأية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شركٌ.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين (الواو) و(ثم) في اللفظ.

باب[1] – ٤٢

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: **[لا تحلفوا بآبائكم[2]، من حلف بالله؛ فليصدق، ومن حلف له بالله؛ فليرض، ومن لم يرض؛ فليس من الله[3]]**. رواه ابن ماجه بسندٍ حسنٍ.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

الرابعة: أمر الحالف أن يصدق لأن الصدق واجب في غير اليمين، فكيف باليمين ؟![4]

---

[1] مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الاقتناع بالحلف بالله من تعظيم الله وعدمه فيه شيء من نقص تعظيم الله وهذا ينافي كمال التوحيد.

[2] النهي هنا للتحريم.

[3] وهذا تبرؤ منه يدل على أن عدم الرضا من كبائر الذنوب.

[4] أما بالنسبة للمحلوف ، فهل يلزمه أن يصدق أن لا ؟ المسألة لا تخلو من أحوال خمسة :

١- أن يعلم كذبه: لا يلزم بتصديقه.
٢- أن يترجح كذبه: لا يلزم بتصديقه.
٣- أن يتساوى الأمران: يجب تصديقه.
٤- أن يترجح صدقه: يجب تصديقه.
٥- أن يعلم صدقه: يجب تصديقه.

باب – ٤٣

قول: ما شاء الله وشئت[١]

عن قُتَيْلَة[٢]: **[أن يهوديًا أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة[٣]. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت]**. رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً: عن ابن عباسٍ؛ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت[٤]، فقال: **[أجعلتني لله ندًا؟! ما شاء الله وحده]**.

ولابن ماجه: عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: رأيت[٥] كأني أتيت على نفرٍ من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم[٦] لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمدٌ. ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت؛ أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته؛ قال: **[هل أخبرت بها أحدًا؟]**. قلت: نعم. قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **[أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا[٧] أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمدٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده]**.

---

[١] حكم هذا القول إما شرك أكبر أو أصغر، فإذا اعتقد أن المعطوف مساو لله فهو شرك أكبر وإذا اعتقد أنه دونه فهو أصغر.

[٢] بنت صيفي الأنصاري.

[٣] حلف بغير الله.

فرع: مشروعية الرجوع إلى الحق وإن كان من نبه عليه ليس من أهل الحق، لأن المسلم يجب عليه أن يقبل الحق ممن جاء به.

[٤] قاله تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

[٥] رؤيا في المنام.

[٦] كلمة مدح.

[٧] يمنعه الحياء كما في رواية أخرى ولكن ليس الحياء من إنكار الباطل ولكن من أن ينهى عنها دون أن يأمره بذلك.

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوًى[١].

الثالثة: قوله ﷺ: **[أجعلتني لله ندا؟!]**؛ فكيف بمن قال: ((يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك.....))، والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: **[يمنعني كذا وكذا]**.

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

---

[١] أن الهوى لا يمنع من فهم الإنسان المنصوص.

٤٤- باب

من سب الدهر[١] فقد آذى الله[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ[٣] ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال: **[قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر[٤]؛ أقلب الليل والنهار]**.

وفي رواية: **[لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر]**.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذىً لله.

الثالثة: التأمل في قوله: **[فإن الله هو الدهر]**[٥].

الرابعة: أنه قد يكون سابًا[٦]، ولو لم يقصده بقلبه.

---

[١] الوقت أو الزمن.

ما حكم سب الدهر؟ محرم وهو من الكبائر لأن سب هذه السنين والأزمان سبًا لمن تصرف فيها وهو الله وهذا ينافي كمال التوحيد، وإذا اعتقد أن الوقت أو الزمن هو الفاعل يكون شركًا أكبر.

[٢] لا يلزم من الأذية الضرر.

[٣] أي الذي يميتنا طول السنين بالنسبة للذي يعيش طويلاً، أما الذي يعيش قصيرًا فيميته المرض.

مناسبة الآية: أن في الآية نسبة الحوادث إلى الدهر ومن نسبها إلى الدهر فسوف يسب الدهر إذا وقع فيه ما يكرهه.

[٤] مدبر الدهر ومصرفه.

فرع : ليس الدهر من أسماء الله.

[٥] إذا تأملنا فيه وجدنا أن معناه أن الله مقلب الدهر ومصرفه وليس معناه أن الله هو الدهر.

[٦] مؤذيًا لله.

٤٥ – باب

التسمي بقاضي القضاة[١] ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **[إن أخنع[٢] اسمٍ عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله[٣]]**.

قال سفيان: (مثل شاهان شاه[٤]).

وفي روايةٍ: **[أغيظ[٥] رجلٍ على الله يوم القيامة، وأخبثه[٦]]**.

قوله: ((أخنع))؛ يعني: أوضع[٧].

---

[١] أي وضع الشخص لنفسه هذا الاسم أو رضاه به من غيره.

فرع: ما حكم التسمي بقاضي القضاة؟

كبيرة من الكبائر لأن هذا اللفظ يصدق على الله والتسمي بهذا الاسم يدل على التكبر.

فرع: إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة أو ببلد معين مثل قاضي قضاة مصر فيجوز.

[٢] أوضع.

[٣] لا مالك على الحقيقة الملك المطلق إلا الله.

[٤] باللغة الفارسية ملك الأملاك.

[٥] من الغيظ وهو الغضب.

[٦] وسبب كونه أغيظ رجل أنه جعل نفسه مماثلاً لله في الحق بهذه التسمية.

[٧] أحقر.

فرع: المِلك: راجع إلى الأعيان.

المُلك: راجع إلى المعاني.

يكره تتريها التسمية بكل اسم يُتطيَّر بنفية: رباح، أفلح، نجاح، يسار، نجيح.

يكره التسمي بأسماء تكرهها النفوس وتشمئز منها: جرب، مرة، كلب، حية.

يكره التسمي بالأسماء القبيحة: ظالم، شهاب، حمار.

يكره التسمي بأسماء الجبابرة: فرعون.

ما حكم التسمي بأسماء الملائكة؟

مالك: كره ذلك، الجمهور: أجازه.

– ما هي الأسماء المحرمة ؟

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بـــ((ملك الأملاك)).

الثانية: أن ما في معناه مثله؛ كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله تعالى سبحانه.

١- كل اسم خاص بالله مثل: قدوس ، الأول ، الأحد ، الصمد ،...

الأسماء المشتركة يجوز التسمي بها مثل: الحميد ، العليم ، المجيد.

٢- أسماء لا تصدق إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم مثل سيد ولد آدم.

٣- كل اسم معبد مضاف إلى غير الله مثل: عبد الرسول ، عبد الأمير.

٤- جار الله.

التسمي بصلاح الدين، عز الدين، محيي الدين أكثر أهل العلم كرهوا هذه الأسماء.

التسمي بشيخ الإسلام، إذا قصد أنه الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام فهذا لا يصح ولكن إذا قصد بهذا الوصف أنه جدد في الإسلام وحصل له أثر طيب في الدفاع عنه فلا بأس بإطلاقه.

لا يجوز التسمي بآية الله وحجة الله، وجنة الإسلام.

٤٦ – باب

احترام[١] أسماء الله تعالى، وتغيير[٢] الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريحٍ[٣]، أنه كان يكنى[٤] أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: **[إن الله هو الحكم[٥]، وإليه الحكم]**. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ؛ أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين[٦]. فقال: **[ما أحسن هذا[٧]! فما لك من الولد[٨]؟]**. قلت: شريحٌ، ومسلمٌ، وعبد الله. قال: **[فمن أكبرهم؟]**. قلت: شريحٌ. قال: **[فأنت أبو شريحٍ[٩]]**. رواه أبو داود، وغيره.

فيه مسائل:

الأولى: احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه[١٠].

---

[١] التوقير والتعظيم.

[٢] التغيير واجب.

[٣] هانيء بن يزيد الكندي.

[٤] الكنية : ما صدر بأب أو أم ونحوهما.

[٥] المستحق أن يكون حاكمًا على عباده ، الحاكم الذي إذا حكم لا يرد أمره.

[٦] هذا بيان لسبب تسميته بأبي الحكم.

[٧] الإشارة تعود إلى إصلاحه بين قومه لا إلى تسميته بهذا الاسم.

[٨] الذكر والأنثى.

[٩] النبي صلى الله عليه وسلم غير كنيته لأبي الحكم ولم يغير من كان اسمه الحكم أو الحكيم من الصحابة لأنه لوحظ فيه معنى الصفة وهي الحكم مطابقًا لاسم الله ، وليس لمجرد العلمية المحضة فإن كان للعلمية المحضة فيجوز التسمي بذلك.

[١٠] الصحيح أنه يجوز.

فرع: أنواع الأسماء:

١- أسماء لا تصح إلا لله مثل: الله، الرحمن، الخالق، رب العالمين فهذه لا تجوز التسمي بها.

٢- أسماء مشتركة مثل: العلي، رشيد، رحيم فتجوز.

٣- أسماء مشتركة مبنية على ملاحظة الصفة لا يجوز التسمي بها.

- أسماء الله تدل على العلمية والصفة ، وأسماء الناس تدل على العلمية فقط.

الثانية: تغيير الإسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

- أسماء ظاهرها التزكية مثل: صالح ، إيمان ... إذا كانت للعلمية المحضة فيجوز التسمي بها، وإذا كانت ملاحظًا بذلك الصفة عند التسمية فهو مكروه.

- جمهور العلماء : الكنية بأكبر الأبناء سنة ، التكني سنة رجالاً ونساءً.

- لا يكنى الكافر ولا الفاسق والمبتدع، لأن الكنية فيه تكريمًا وهؤلاء لا يستحقون التكريم.

إلا إذا خشي الفتنة، أو تعريفًا به (أبي لهب)، أو تكنيته بكنية ليس فيها احترام (أبي جهل).

٤٧ – باب

من هزل[١] بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول[٢]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٣] التوبة: ٦٥ .

عن ابن عمر ومحمد بن كعبٍ وزيد بن أسلم وقتادة؛ دخل حديث بعضهم في بعضٍ[٤]: **[أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب[٥] بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء– يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء–. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافقٌ[٦]؛ لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوفٌ إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه[٧]، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يارسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق]**. قال ابن عمر: **[كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة[٨] ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب[٩] رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ۞ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥–٦٦]؛ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه]**.

---

[١] سخر واستهزأ ورآه لعبًا عند الجد.

[٢] فقد كفر ، والذي يسب الله إذا تاب لا يقتل ولكن ساب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا تاب يقتل لأن له حقان حق شرعي وحق شخصي.

[٣] ﴿ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ التوبة: ٦٦ : بالاستهزاء، وهم لم يكونوا منافقين خالصين بل مؤمنين ولكن إيمانهم ضعيف، ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ التوبة: ٦٦ : هؤلاء حضروا وصار عندهم كراهية لهذا الشيء لكنهم داهنوا فصاروا في حكمهم لجلوسهم إليهم.

[٤] إن هذا الحديث مجموع من كلامهم عدة أحاديث.

[٥] أوسع

[٦] فيه دليل على جواز قولك عمن ظهر منه النفاق الأكبر (يا منافق).

[٧] بالوحي من الله.

[٨] حزام يربط به الرجل.

[٩] تضرب.

فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة؛ أن من هزل بهذا؛ فإنه كفرٌ.

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان[١].

الثالثة: الفرق بين النميمة، وبين النصيحة لله ولرسوله ﷺ.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار مالا ينبغي أن يقبل.

---

[١] حتى لو كان يصحب النبي صلى الله عليه وسلم.

فرع: قال ابن القيم: أن الإنسان قد يكفر بكلمة يلفظ بها أو عمل يعمله وأشدها خطرًا إيرادات القلوب.

فرع: الاستهزاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- أن تقصد السخرية بما قال: (تسخر بآية، حديث، سنة،...) كفر أكبر.

٢- أن يقصد السخرية بمن قال: (بعالم من العلماء يسخر بشخصه) محرم حرمة شديدة.

٣- أن يكون ديدنة السخرية بالعلماء والمتدينين والملتزمين هذا كفر أكبر.

- الكفر يكون أكبر إذا كان الاستهزاء بأحد الثلاثة (الله، ورسوله، الدين) والتي نصت عليها الآية، أو كان راجعًا إلى أحد الثلاثة.

- أما إذا كان الاستهزاء بشيء خارج عن ذلك فإنه يكون فيه تفصيل: فإن هزل بالدين فينظر هل يريد دين الإسلام، أو يريد تدين فلان؟ ومثال ذلك أن يأتي واحد من المسلمين ويستهزىء مثلاً بهيئة أحد الناس وهيئته يكون فيها التزام بالسنة، فهذا لا يكفر ولابد أن يعرّف بأن هذا سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا علم أنه سنة وأقر بذلك وأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله ثم استهزأ كفر.

٤٨ – باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ [١] رَحْمَةً [٢] مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ [٣] لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي [٤] وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) ﴾ فصلت: ٥٠ .

قال مجاهدٌ: (هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به[٥]).

وقال ابن عباسٍ: (يريد: من عندي[٦])[٧].

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي [٨] ﴾ القصص: ٧٨ .

قال قتادة: (على علمٍ مني بوجود المكاسب).

وقال آخرون: (على علمٍ من الله أني له أهلٌ).

وهذا معنى قول مجاهد: (أوتيته على شرفٍ).

---

[١] الإنسان.

[٢] العافية، الصحة، الغنى.

[٣] أصابته.

[٤] هذا كفر بنعمة الله وإعجاب بالنفس.

[٥] هذا بسببي وأنا مستحق له.

[٦] من حذقي وتصرفي وليس من عند الله.

[٧] هذان القولان منافيان للتوحيد إما شرك أكبر أو شرك أصغر، فالشرك الأكبر أن ينسب النعمة إلى نفسه لا ينسبها إلى الله أصلاً، وشرك أصغر أن ينسب النعمة إلى الله لكن يرى نفسه مستحقًا لذلك الشيء. فالواجب علينا أن نضيف هذه النعم إلى الله.

[٨] كقول الطبيب مثلاً هذا الذي حصل من شفاء المريض بسببي.

فرع: أحيانًا الله ينعم على بعض العباد حتى تعظم عقوبتهم في الآخرة.

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [**إن ثلاثةً من بني إسرائيل**[1]**: أبرص**[2] **وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيءٍ أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به.**

قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، فأعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر (شك إسحاق)[3]**. فأعطي ناقةً عُشراء**[4]**، وقال: بارك الله لك فيها.**

قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيءٍ أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر[5] **أو الإبل. فأعطي بقرةً حاملاً؛ قال: بارك الله لك فيها.**

قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيءٍ أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس. فمسحه، فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاةً والدًا[6]**.**

فأنتج[7] **هذان وولد**[8] **هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.**

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته[9] **وهيئته**[10]**، فقال: رجلٌ مسكينٌ قد انقطعت بي الحبال**[11] **في سفري؛ فلا بلاغ**[12] **لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن،**

---

[1] بنو اسرائيل هم ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

[2] داء معروف.

[3] الظاهر أنه الإبل.

[4] حامل.

[5] الصحيح أنه البقر.

[6] قريبة الولادة.

[7] الذي يولد الناقة، حصل لهم نتاج الإبل والبقر.

[8] صار لشاته أولاد.

[9] الجسم.

[10] اللباس.

[11] الأسباب.

[12] لا شي يوصلني إلى أهلي.

والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرةٌ[1]. فقال له: كأني أعرفك[2]! ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابرٍ[3]. فقال: إن كنت كاذبًا؛ فصيرك إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا؛ فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكينٌ وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا الله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله؛ لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله[4]. فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم؛ فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك]. أخرجاه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: مامعنى: ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ فصلت: ٥٠.

الثالثة: ما معنى: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ القصص: ٧٨ .

الرابعة: ما في القصة العجيبة من العبر العظيمة.

[1] المال الذي عندي متعلق به حقوق كثيرة.

[2] للتحقيق.

[3] أب عن جد.

[4] لا أشق عليك بمنع ولا منَّة.

٤٩ – باب

قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا[١] جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٠.

قال ابن حزمٍ: (اتفقوا[٢] على تحريم كل اسمٍ معبدٍ لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة... وما شابه ذلك، حاشا عبد المطلب)[٣].

وعن ابن عباس في معنى الآية؛ قال: **[لما تغشاها[٤] آدم؛ حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة، لتطيعانني أو لأجعلن له قرني أيلٍ[٥] فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن؛ يخوفهما، سمياه عبد الحارث[٦]، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما – أيضًا – فقال مثل قوله، فأبيا أن يعطياه فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث؛ فذلك قوله: (جعلا له شركاء فيما آتاهما)[٧] [الأعراف: ١٩٠]]**. رواه ابن أبي حاتمٍ.

وله بسندٍ صحيحٍ: عن قتادة؛ قال: (شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته)[٨].

---

[١] صلاح البدن.

فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما. ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث، ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه ، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.

[٢] أجمعوا.

[٣] الصواب التحريم.

لكن هذا لا يفيد جواز التعبيد به، لأنه حكاية نسب مضى، فهو من باب الإخبار لا من باب الإنشاء.

[٤] جامعها.

[٥] التَّيْس. وفي هذا تهديد بأن يشق بطن الأم فتموت ويموت أيضًا الولد.

[٦] اختار هذا الاسم لأنه اسمه.

[٧] هذه القصة باطلة من وجهين :

١- أنه حديث ضعيف . ٢- أن في هذه القصة بأن آدم وقع في الشرك وحاشاه.

[٨] أطاعاه فيما أمرهما به لا في العبادة.

وله بسندٍ صحيحٍ: عن مجاهدٍ، في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ الأعراف: ١٨٩؛ قال: (أشفقا[1] ألا يكون إنسانًا).

وذكر معناه عن الحسن[2]، سعيدٍ، وغيرهما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسمٍ معبدٍ لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسميةٍ لم تقصد حقيقتها[3].

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة[4].

---

[1] خافا.

[2] لكن الصحيح أن الحسن قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء وإن المراد بها المشركون من بني آدم وهو الراجح.

[3] الصواب أن هذا شرك حق حقيقة وأنه شرك من إشراك بني آدم لا من آدم وحواء.

[4] فالطاعة المنسوبة لله فلا فرق بينها وبين العبادة ، وأما الطاعة المنسوبة لغير الله فإنها غير العبادة فنحن نطيع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن لا نعبده.

فرع: بالإشراك في نعمة الولد يقع من بني آدم أربع صور.

١- أن تعتقد أن هذا الولد خلقه غير الله (فهذا شرك أكبر).

٢- أن يضيف سلامته إلى الطبيب أو القابلة. (فهذا إما شرك أكبر أو شرك أصغر).

٣- أن يقدموا محبة الولد على محبة الله. (فهذا إما شرك أكبر أو شرك أصغر)

٤- أن يسموه. (فهذا إما شرك أكبر أو شرك أصغر).

٥٠ – باب[١]

قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ [٢] فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ [٣] وَذَرُوا۟ [٤] ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ [٥] فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠ .

ذكر ابن أبي حاتمٍ عن ابن عباسٍ[٦]: (يلحدون في أسمائه) [الأعراف: ١٨٠]: **[يشركون]**.

وعنه: **[سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز]**.

عن الأعمش: **[يدخلون فيها ما ليس منها]**[٧].

---

[١] هذا الباب في وجوب تعظيم أسماء الله الحسنى.

[٢] البالغة في الحسن نهايته.

[٣] قول النبي صلى الله عليه وسلم: **" إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة "** متفق عليه، والإحصاء معناه:

١- الإحاطة بها لفظًا ومعنى.

٢- دعاء الله بها (يا حي يا قيوم).

٣- أن تتعبد الله بمقتضاها (إذا علمت أنه سميع اتقيت القول الذي يغضبه).

فرع: هل يجوز أن تسأل الشيء بصفة من صفات الله كأن تقول يا رحمة الله ارحميني؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا نوع من أنواع الشرك.

[٤] اتركوا منهجهم.

[٥] **الإلحاد لغة** : الميل والإنحراف عن الحق، الإلحاد في أسماء الله أقسام:

١- أن ينكر شيئًا من أسماء الله إما تكذيبًا أو تأويلاً.

٢- أن يثبت لله أسماء لم يسم الله بها نفسه.

٣- أن يجعلها دالة على التشبيه.

٤- أن يشتق من هذه الأسماء أسماء للأصنام.

[٦] الصحيح قتادة.

[٧] أن يُسمى الله بما لم يسم به نفسه.

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين[1] .

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

---

[1] أي ترك سبيلهم وليس ترك دعوتهم.

٥١ – باب

لايقال: السلام على الله[١]

في ((الصحيح)) عن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة؛ قلنا: السلام على الله من عباده[٢]، السلام على فلانٍ وفلانٍ[٣]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **[لا تقولوا: السلام على الله[٤]؛ فإن الله هو السلام]**.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحيةٌ.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك[٥].

---

[١] علاقة هذا الباب بالتوحيد هو أن قولك السلام على الله فيه تنقيص لعظمة الله، لأنه لا يدعى لشيء بالسلام إلا إذا كان قابلاً للنقص أما الله فهو السلام وهو ليس قابلاً للنقص.

فرع: معنى السلام:

١- التحية.

٢- السلامة من النقص والآفات.

٣- اسم من أسماء الله.

[٢] سبب النهي أن ذلك يوهم أن الله يلحقه النقص وهذا ينافي كمال صفاته وكذلك لأن الله يُدعى ولا يدعى له.

[٣] جبريل وميكائيل.

[٤] يعني: السلامة تكون على الله من عباده وهذا باطل وإساءة، فهم يسألون الله أن يسلم نفسه من الآفات.

فرع: ما معنى قولك حين تسلم على أحد السلام عليك يا فلان؟

الدعاء: تدعو لمن تسلم عليه أن يسلمه الله من الآفات والنقص.

ويكون تبركًا باسم الله أي أن اسم الله عليك يعني عليك بركته.

[٥] وهي أن الله هو السلام.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

٥٢ – باب[1]

قول: اللهم اغفر لي إن شئت[2]

في ((الصحيح)) عن أبي هريرة:، أن رسو الله صلى الله عليه وسلم قال: **[لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت. اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة[3]؛ فإن الله لا مكره له[4]]**.

ولمسلم: **[وليعظم الرغبة[5]؛ فإن الله لا تتعاظمه شيءٌ أعطاه[6]]**.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: ليعزم المسألة.

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

---

[1] عقد المؤلف هذا الباب لما تضمنه هذا الحديث من كمال سلطان الله وكمال جوده وفضله.

[2] المحظور في هذا التعليق من وجوه ثلاثة:

١- أنه مشعر بأن الله له مكره على الشيء.

٢- أنه مشعر بأن الأمر عظيم على الله.

٣- أنه مشعر بأن الطالب مستغن عن الله، وهذا كله إذا اعتقده فهو كفر أكبر وإذا لم يعتقد فهو محرم من باب التأدب مع الله في الألفاظ والتأدب مع الله واجب.

[3] أي لا يكون في تردد بل يعزم بدون تردد ولا تعليق، يسأل سؤال عازم، محتاج، متذلل.

[4] أي لا أحد يكرهه على ما يريد فعله.

[5] ليسأل الله ما شاء من قليل أو كثير ويسأل برغبة عظيمة.

[6] لا يكون الشيء عظيمًا عنده.

فرع: أما بالنسبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[طهور إن شاء الله]** رواه البخاري، فهذا من باب الخبر لا من باب الدعاء.

٥٣ – بابٌ

لايقل: عبدي وأمتي[١]

في ((الصحيح)) عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[لا يقل أحدكم: أطعم ربك[٢]، وضيء ربك[٣]، وليقل: سيدي[٤] ومولاي[٥]. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي[٦]. وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي]**.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد لسيده: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد، حتى في الألفاظ.

---

[١] تحقيق التوحيد لا يكون إلا بالاحتراس من الألفاظ التي يكون فيها إساءة أدب مع الله ولهذا عقد المؤلف هذا الباب، والعلة من النهي هي سدًا للذريعة.

قال ابن حجر: والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله.

[٢] ناوله الطعام.

[٣] ائتني بالوضوء.

النهي هنا للتحريم لكن جاءت قرائن صرفته إلى الكراهة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: **[أن تلد الأمة ربتها]** متفق عليه، و قول الله على لسان يوسف: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ يوسف: ٤٢.

[٤] السيد على وجهه الإطلاق لا يقال إلا الله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[السيد الله]** رواه أبوداود وصححه الألباني، ويجوز إذا قيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[قوموا لسيدكم]** متفق عليه، ولا يجوز قول سيد للمنافق والكافر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[لا تقولوا للمنافق سيدًا]** رواه أبوداود وصححه الألباني.

[٥] متولي أمري.

[٦] إذا أضافه إلى غيره (عبد فلان) يجوز، إلى نفسه نداء: يا عبدي: أقل أحواله الكراهة.

٥٤ – باب[1]

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[من سأل بالله؛ فأعطوه[2]، ومن استعاذ[3] بالله؛ فأعيذوه[4]، ومن دعاكم؛ فأجيبوه[5]، ومن صنع إليكم معروفًا؛ فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه؛ فادعوا له حتى تروا[6] أنكم قد كافأتموه]**. رواه أبو داود، والنسائي بسندٍ صحيحٍ.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.[7]

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.[8]

---

[1] هذا الباب مع الباب الذي قبله ومع سابقه كلها في تعظيم الله لأن تعظيم ذلك من كمال التوحيد ومن تحقيقه.

[2] أن يسأل بالله ما يستحقه كأن يسأل مالاً وهو فقير فهنا يجب أن تعطيه حتى إن لم يكن مستحقًا يجب أن تعطيه عند الشيخ ابن عثيمين بشروط ألا يترتب على ذلك ضرر بالمسؤول أو كان السؤال إثمًا، ولكن الشيخ الفوزان قال: يستحب إن لم يكن مستحقًا.

أوجب النبي صلى الله عليه وسلم إعظامًا لاسم الله تعالى.

[3] طلب اللجوء.

[4] تجيبه إلى ذلك وتتركه.

[5] هذا مخصوص بدعوة العرس أما سائر الدعوات فهي على الاستحباب إلا إذا وجد منكر في العرس فلا يجب أو كان هناك عذر شرعي كأن يكون عنده درس.

[6] تعلموا ، تظنوا.

[7] إلا أن يستعيذ عن شيء واجب فعلاً أو تركًا فإنه لا يعاذ.

[8] أي: على صنيعة من صنع إليك معروفًا.

الخامسة: أن الدعاء مكافأةٌ لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: **[حتى تروا أنكم قد كافأتموه]**.

فرع: ما حكم سؤال المال لنفسك؟

طلب المال للنفس حرام إلا لضرورة أو حاجة.

فرع: ما حكم سؤال المعونة؟ مكروه إلا لحاجة.

فرع: إذا أعطاك شخص مال بدون سؤالك له فما حكم أخذه؟

مستحب بشرط أن يكون المعطي غير معروف بالمنّ.

٥٥ – باب

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابرٍ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[لا يسأل بوجه الله إلا الجنة[١]]**. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

---

[١] معنى الحديث: أنه تعظيمًا وإكرامًا لوجه الله فلا يليق أن تسأل بوجه الله أمرًا من أمور الدنيا وإنما تسأل الله بأمور الآخرة.

٥٦ – باب

ما جاء في الـ(لو)[١]

وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ [٢] لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا [٣] ﴾ آل عمران: ١٥٤ .

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ [٤] وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [٥] آل عمران: ١٦٨ .

في ((الصحيح)) عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[احرص[٦] على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن[٧]، وإن أصابك شيءٌ؛ فلا تقل لو أني فعلت كذا؛ لكان كذا وكذا،**

---

[١] عند النحويين يسمى حرف امتناع لامتناع، قلب الموحد المؤمن لا يكون محققًا مكملاً للتوحيد حتى يعلم أن كل شيء بقضاء الله وبقدره، وإذا استهل لفظ لو أو ليت أو ما أشبهها فإن ذلك يضعف القلب ويجعله متعلقًا بالأسباب.

- أحكام " لو " :

١- التحريم: أ – أن تستعمل في الاعتراض على الشرع فهذا دائر بين الكفر والتحريم. (تحريم الخبر) ، ب – أن تستعمل في الاعتراض على القدر فهذا محرم (كفيضان). ج – أن تستعمل للندم والتحسر فهذا محرم، (كبيع) . ء- أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية فهذا إذا لم يتب فلا يجوز وإن تاب فيجوز.

٢- الجواز: أن تستعمل في الخبر المحض (لو قدر الله لي زيارة مكة فإني سأعتمر).

٣- الاستحباب: أن تستعمل في تمني الخير.

[٢] المنافقين.

[٣] في أحد.

هذا من الاعتراض على الشرع وهو الجهاد.

[٤] في الدين

[٥] هذه الآية ندخلها في باب الاعتراض على قدر الله.

فالآيتان تدل على أن الإنسان محكوم بقدر الله كما أنه يجب أن يكون محكومًا لشرع الله.

[٦] بذل الجهد واستفراغ الوسع. من الحرص الأخذ بالأسباب.

[٧] التهاون والكسل عن فعل الشيء.

ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل[1]؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان[2]].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: (لو)؛ إذا أصابك شيءٌ[3]

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.[4]

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ماينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

---

[1] المعنى : إن هذا الذي وقع قدر الله وليس إليّ.

[2] عمله: ما يلقيه في قلب الإنسان من الحسرة والندم والحزن (الوسواس) فإن الشيطان يحب ذلك.

[3] لأنه سوء ظن بالله وبقضاء الله وقدره.

[4] وهو الوسوسة.

٥٧ – باب

النهي[1] عن سب الريح

عن أبي بن كعبٍ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[لا تسبوا الريح؛ فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها[2] ، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به]**. صححه الترمذي.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.[3]

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورةٌ.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخيرٍ، وقد تؤمر بشرٍ.

---

[1] النهي للتحريم وسب الريح يكون بشتمها ولعنها ، وإنما نُهي عن سبها لأن سب المخلوق سب لخالقه.

فرع: الملائكة هي التي تُصَرِّف الريح بأمر الله عز وجل.

[2] ما تحمله مثل تلقيح الثمار.

[3] مع فعل الأسباب الحسية أيضًا كالاتقاء من شرها بالجدران أو الجبال أو نحوها.

فرع: الحاصل أن الإنسان يجب عليه أن لا يعترض على قضاء الله وقدره وأن لا يسبه.

- ما حكم الاستعاذة من الريح؟ هذا الإطلاق لا يجوز، نستعيذ من شرها فقط.
- هل يلحق بحرمة سب الريح سب المخلوقات المسيرة؟ كسب السحاب وسب الزلزال وسب الأمراض؟ نعم يحرم سب كل مخلوق مسير.

٥٨ – باب[1]

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ [2] بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ [3] ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ [4] يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ [5] قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران: ١٥٤ .

---

[1] ترجم المؤلف بهذا الباب ليبين أن ظن السوء بالله من خصال أهل الجاهلية وهو مناف لأصل التوحيد أو لكماله بحسب الحال.

[2] معنى الظن هو الاحتمال الراجح، لكن هنا المراد به اليقين أو ما يشبه اليقين.

[3] المنافقون، المقصود بهذا الظن الذي ظنه المنافقون هو أن الصحابة عندما هزموا في معركة أحد ظن المنافقون أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام يضمحل وينتهي إلى الأبد.

[4] لا يعرفون فيها قدر الله وعظمته.

[5] الاعتراض على القدر.

قصدهم بهذا القول نحن ليس لنا أمر يطاع، محمد ما أطاعنا نحن قلنا ابقَ في المدينة فلذلك حصل ما حصل.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ[1] ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ[2] عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ[3]﴾ الفتح: ٦ .

قال ابن القيم في الآية الأولى: (فسر هذا الظن بأنه — سبحانه — لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته.

ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنما كان هذا الظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به — سبحانه — ومايليق بحكمته، وحمده، ووعده الصادق.

---

[1] المشركون والمنافقون.

- الظن بالله على نوعين:

١- أن تظن بالله خيرًا (فهذا واجب) أن تظن بالله خيرًا بقدره الشرعي والكوني، منها الزلزال والأعرج والأعمى.

٢- أن تظن بالله شرًا (فهذا محرم) قد يصل إلى الكفر الأكبر وقد تكون معصية والضابط في هذا أنه كل ظن يعود على أن الله ليس بحكيم ولا عدل فهذا كفر أكبر وما سوى ذلك معصية، فالذي يقول لماذا تقطع يد السارق فهذا كفر أكبر.

ومثال على المعصية إن كان الإنسان مفرطًا في الواجبات فاعلاً في المحرمات وظن بالله ظنًا حسنًا فهذا من سوء الظن بالله إذا إن حكمة الله تأبى ذلك.

- الذي يعبد الله على شريعته مع إخلاص لابد أن يظن أن الله يقبل منه ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لن يقبل منه.
- وكذلك إذا تاب الإنسان نت الذنب فهنا يجب عليه أن يحسن الظن بالله أنه يقبل منه.
- كيف تزيل عنك سوء الظن بالله ؟ إذا استقرت عندك معرفة صفة الله بالحكمة وفهمتها ووضعت هذه الآية نصب عينيك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ البقرة: ٢١٦ زالت عنك هذه الظنون.

فرع : أمر الله ونهيه إنما هي لحكمة قد نعلمها وقد نجهلها.

[2] العيب.

[3] أن السوء يحيط بهم جميعًا.

فمن ظن أنه يُديل[1] الباطل على الحق إدالة مستقرةً يضمحل معهما الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجردةٍ[2]؛ فـ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ[3] لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ ص: ٢٧.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك[4] إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب[5] حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب[6] الناصح لنفسه بهذا[7]، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامةً له[8]، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌ ومستكثرٌ، وفتش نفسك؛ هل أنت سالمٌ؟

[قال الشاعر[9]]:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة[10]   وإلا فإني لا إخالك[11] ناجيًا

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

---

[1] يسيطر.

[2] كالأشاعرة.

[3] كلمة وعيد.

[4] أي من الظن السوء.

[5] المقتضي.

[6] ذو اللب وهو العقل.

[7] الظن بالله، حتى يظن بالله ظن الحق.

[8] إذا قدر الله شيئًا لا يلائمه تجده يقول: ينبغي أن ننتصر، ينبغي أن يترل المطر، ينبغي أن لا نصاب بالحوائج ، وأن يوسع لنا في هذا الرزق وهكذا.

[9] الفرزدق.

[10] ذي بلية عظيمة.

[11] أظنك.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواعٌ لا تحصر.[1]

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك[2] إلا من عرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه.

[1] أي: ظن السوء، وضابط هذه الأنواع أن يظن بالله ما لا يليق به.

[2] ظن السوء.

٥٩ – باب

ما جاء في منكري القدر[١]

وقال ابن عمر: (والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره[٢]]**. رواه مسلمٌ.

وعن عبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا بني! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك[٣]، وما أخطأك لم يكن ليصيبك[٤]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **[إن**

---

[١] **القدر**: هو تقدير الله الأشياء في القدم وعلمه بها وكتابته لها ومشيئتها وخلقها (سر من أسرار الله).

– مراتب القدر: العلم، الكتابة، المشيئة، خلقه.

– مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد هي أن الإيمان بالقدر واجب وإنكار القدر كفر بالله.

– الراجح أنه لا فرق بين القضاء والقدر.

فرع : الناس في القضاء والقدر على ثلاثة مذاهب:

١– **الجبرية**: أثبتوا القدر وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، العبد مجبور على كل أفعاله (فالعبد كالريش في مهب الريح).

٢– **القدرية**: أثبتوا للعبد اختيارًا وقدرة في عمله وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله في عمل العبد مشيئة أو خلق (العبد يفعل أشياء ليست خاضعة لمشيئة الله) العبد هو الذي يخلق فعله.

٣– **أهل السنة والجماعة**: آمنوا بقضاء الله وقدره وأثبتوا للعبد اختيارًا وقدرة.

فرع: الرد على القدرية والجبرية: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦، الله خلقنا وخلق عملنا وأثبت الله أننا نحن العاملون.

فرع: فعل العبد يتعلق به شيئان : أ – الخلق يتعلق بالله ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ،

– ب – المباشرة يتعلق بالعبد ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ آل عمران: ١٥٢

[٢] الشر في مفعولات الله لا في أفعال الله ففعله كله خير وحكمة.

[٣] ما قدر الله أن يصيبك.

[٤] ما قدر أن يخطئك فلن يصيبك.

أول ما خلق الله القلم[1]، **فقال له: اكتب. فقال:رب! وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيءٍ**[2] **حتى تقوم الساعة]** يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **[من مات على غير هذا**[3]، **فليس مني**[4]**]**.

وفي روايةٍ لأحمد: **[إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة]**.

وفي روايةٍ لابن وهبٍ[5] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ أحرقه الله بالنار]**.

وفي ((المسند)) و((السنن)) عن ابن الديلمي؛ قال: ((اتيت أُبي بن كعبٍ، فقلت: في نفسي شيءٌ من القدر[6]؛ فحدثني بشيءٍ، لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحدٍ ذهبًا؛ ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا؛ لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعودٍ وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابتٍ؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم)). حديثٌ صحيحٌ، رواه الحاكم في ((صحيحه)).

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به[7].

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

---

[1] أول المخلوقات العرش، ومعنى هذا الحديث أن أول ما خلق الله العلم بالنسبة لما نشاهده فقط من المخلوقات فهي أولية نسبية.

[2] تعم كل شيء مما يتعلق بفعل الله أو بفعل المخلوقين.

[3] أي: الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء.

[4] تبرأ منه النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كافر.

[5] عبد لله من أصحاب مالك.

[6] كأن شبهة عرضت له فأراد عرضها على أحد الصحابة.

[7] أي بالقدر وهو أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك.

الرابعة: الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به[1].

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

---

[1] أي بالقدر.

٦٠ – باب[١]

ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: **[قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب[٢] يخلق كخلقي؛ فليخلقوا[٣] ذرةً[٤]، أو ليخلقوا حبةً[٥]، أو ليخلقوا شعيرةً]**. أخرجاه.

ولهما: عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[أشد الناس عذابًا[٦] يوم القيامة الذين يضاهئون[٧] بخلق الله]**.

ولهما: عن ابن عباسٍ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **[كل مصورٍ في النار[٨]، يجعل له بكل صورةٍ صورها نفسٌ[٩] يعذب بها في جهنم]**.

---

[١] علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد أن المصور يشابه الله بفعله لأن الله هو المصور.

فرع: معنى المصور: هو ذاك الشخص الذي يصنع صنمًا، أو ذاك الشخص الذي يخطط (يرسم) صورة إنسان أو حيوان بهيئة يعيش عليها.

المصور من يقع في الكفر الأكبر ؟

١– أن يصور صنمًا ليعبد.

٢– أن يضاهي بذلك خلق الله.

[٢] قصد.

[٣] التحدي والتعجيز.

[٤] النمل.

[٥] إن قيل: يوجد رز أمريكي مصنوع؟ إن هذا المصنوع لا ينبت كالطبيعي.

[٦] الذين يصنعون الصور أشدهم عذابًا هو الذي يضاهي بخلق الله.

[٧] يشابهون.

المضاهاة حاصلة سواء كانت بنية أو بغير نية لأن العلة هي المشابهة وليست العلة قصد المشابهة.

[٨] يفيد أنه كبيرة من الكبائر.

[٩] يدل على أن المراد صورة ذوات النفوس أي ما فيه روح.

- التصوير له أقوال :

١– أن يصور الإنسان ما له ظل: أي ما له جسم إنسان أو حيوان فهذا مجمع على تحريمه.

ولهما: عنه مرفوعا: **[من صور صورةً في الدنيا؛ كلف[1] أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخٍ[2]]**.

ولمسلم: عن أبي الهياج، قال: قال لي عليٌّ: **[ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تدع صورةً إلا طمستها[3]، ولا قبرًا مشرفًا[4]؛ إلا سويته[5]]**.

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبه على العلة، وهي ترك الأدب مع الله؛ لقوله: **[ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي]**.

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: **[فليخلقوا ذرةً أو حبةً أو شعيرةً]**.

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورةٍ نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

٢- أن يصور صورة ليس لها ظل بل بالتلوين والتخطيط (رسم) فهذا محرم.

٣- الصور الفوتوغرافية صنعت في سنة ١٨٣٩م ما الحكم؟

محمد بن إبراهيم، ابن باز، الألباني قالوا: بالتحريم.

ابن عثيمين، محمد نجيب المطيعي، سيد سابق قالوا: بالجواز.

إذا كانت هناك فائدة محققه من الصورة فلا حرج (الألباني).

٤- التصوير لما لا روح فيه مثل الشجر والجمادات فحكمه يجوز.

[1] أُلزم.

[2] زيادة في تعذيبه.

[3] هذا يدل على أنه لا يجوز اقتناء الصور وفيه تفصيل.

[4] عاليًا.

[5] يسنّم.

٦١ – باب

باب ماجاء في كثرة الحلف[1]

وقول الله تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾[2] المائدة: ٨٩ .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **[الحلف[3] منفقةٌ[4] للسلعة، ممحقةٌ للكسب[5]]**. أخرجاه.

وعن سليمان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[ثلاثةٌ لا يكلمهم الله[6]، ولا يزكيهم[7]، ولهم عذابٌ أليمٌ: أشيمطٌ[8] زانٍ، وعائلٌ[9] مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته[10]؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه]**. رواه الطبراني بسندٍ صحيحٍ.

---

[1] هو اليمين والقسم ، وهو تأكيد الشيء بذكر معظم.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد أن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله.

فرع: المقصود باليمين والحلف هنا اليمين المعقودة التي عقدها صاحبها أما لغو اليمين فإن هذا معفو عنه.

[2] كيف نحفظ أيماننا ؟ ١- لا تكثروا الحلف بالله ، ٢- إذا حلفتم فلا تحنثوا ، ٣ – إذا حلفتم فحنثتم فلا تتركوا الكفارة.

[3] المراد الحلف الكاذب.

[4] ترويج.

[5] المحق الحسي والمعنوي.

[6] لا يكلمهم كلام تكريم وتنعيم وإنما كلام الغضب والتوبيخ.

[7] لا يشهد الله بعدالتهم يوم القيامة بل يذمهم.

[8] تصغير لأشمط: وهو من اختلط سواد شعره ببياضه لكبر سنه، النبي صلى الله عليه وسلم خص هنا الأشميط لأن إثمه أكبر من إثم الشاب لأن دواعي الشهوة في نفسه ضعيفة ففعله لهذا الأمر يدل على فساد نيته وخبث طويته وضعف إيمانه.

[9] فقير. لأن دواعي الكِبْر عند الفقير ضعيفة.

[10] كناية عن الحلف عند الشراء وعند البيع.

فرع: يدخل في الإثم من يكثر في الحلف في البيع والشراء ولو كان صادقًا.

وفي ((الصحيح)) عن عمران بن حصينٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[خير أمتي قرني**[١]، **ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** (قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين[٢] أو ثلاثًا؟) **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون**[٣]، **ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**[٤]**]**.

وفيه[٥]: عن ابن مسعودٍ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **[خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**[٦]**]**.

وقال إبراهيم[٧]: (كانوا يضربوننا على الشهادة[٨]، والعهد[٩]، ونحن صغارٌ).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

---

[١] هم أهل العصر المتقاربين سنًا أو الملة وما أشبه ذلك، المقصود بقرن الصحابة، قرن الصحابة انتهى سنه ١١٠، قرن التابعين انتهى سنة ١٨٠، قرن أتباع التابعين انتهى سنة ٢٢٠.

[٢] أكثر الروايات ذكرت مرتين.

[٣] يشهدون بغير علم.

[٤] كثرة الشحم واللحم ، المراد أن هؤلاء يعتنون بأسباب السمن من المطاعم والمشارب والترف فيكون همهم إصلاح أبدانهم وتسمينها.

[٥] الصحيح.

[٦] لقلة الثقة بهم لا يشهدون إلا بيمين.

[٧] النخعي.

[٨] المقصود الكذب في الشهادة أو التسارع بها حتى لا يستخفوا بها.

[٩] إذا تعاهدوا يضربونهم على الوفاء بالعهد ، وهذا للتأديب.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

٦٢ – باب[١]

ما جاء في ذمة[٢] الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ[٣] إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ[٤] ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا[٥] ﴾ النحل: ٩١ .

وعن بريدة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ؛ أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا[٦]، فقال: **[اغزوا باسم الله[٧] في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا[٨]، ولا تغدروا[٩]، ولا تمثلوا[١٠]، ولا تقتلوا وليدا[١١]، وإذا لقيت عدوك من المشركين؛ فادعهم إلى ثلاث خصال** (أو: خلالٍ)، **فأيتهن ما أجابوك؛ فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك؛ فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين[١٢]، وأخبرهم**

---

[١] مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن عدم الوفاء بعهد الله مخل بكمال التوحيد.

[٢] عهد.

[٣] قال الشنقيطي: ظاهر الآية أنه شامل لجميع العهود فيما بين العبد وربه وفيما بينه وبين الناس.

[٤] حلّ إحكامه.

[٥] بعد تغليظها بالحلف.

﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ النحل: ٩١: أن الإنسان إذا عاهد غيره قال أعاهدك بالله، أي أنه جعل الله عليه كفيلاً.

[٦] أوصاه بأن يعمل بمن معه من المسلمين خيرًا في أمور الدنيا والآخرة فيسلك بهم الأسهل.

[٧] مستعين بالله.

[٨] الغلول : هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

[٩] الخيانة : نقض العهد.

[١٠] التشويه بقطع بعض الأعضاء كالأنف ...

[١١] صغيرًا.

[١٢] ليتعلموا دين الله، وهي الدار التي تصلح أن يهاجر إليها لكونها بلد إسلام سواء كانت في المدينة أو غيرها.

أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين[1]**، وعليهم ما على المهاجرين**[2]**، فإن أبوا أن يتحولوا منها؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى [الذي يجري على المؤمنين]، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا؛ فاسألهم الجزية**[3]**، فإن هم أجابوك؛ فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا؛ فاستعن بالله وقاتلهم.**

وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه[4]**؛ فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا**[5] **ذممكم وذمة أصحابكم أهون أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصنٍ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله**[6]**، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا]**. رواه مسلمٌ.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله، وذمة نبيه، وذمة المسلمين.[7]

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله **[اغزوا بسم الله في سبيل الله]**.

الرابعة: قوله: **[قاتلوا من كفر بالله]**.[8]

الخامسة: قوله: **[استعن بالله وقاتلهم]**.

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

---

[1] من الغنيمة والفيء.

[2] من الجهاد والنصرة.

[3] هي عبارة عن مال مدفوع من غير المسلم عوضًا عن حمايته وإقامته بدارنا.

[4] طلبوا منك عهد الله وعهد نبيه صلى الله عليه وسلم على سلامة أنفسهم وأموالهم، وفي هذا تعظيم لعهد الله وعهد النبي صلى الله عليه وسلم.

[5] نقض العهد.

[6] النهي هنا خاص في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقط، لأن العهد يمكن أن يتغير فيه الحكم، فنقول بأنهم يترلون على حكم الله.

[7] لو قال الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين لكان أوضح فإن ذمة الله وذمة نبيه واحدة.

[8] أن علة قتالهم الكفر.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكمٍ لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

٦٣ – باب[١]

ما جاء في الإقسام على الله[٢]

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي[٣] أن لا أغفر لفلانٍ؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك[٤]]**. رواه مسلمٌ.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجلٌ عابدٌ. قال أبو هريرة: (تكلم بكلمةٍ أَوْبقت[٥] دنياه[٦] وآخرته).

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك[٧] نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهدٌ لقوله: **[إن الرجل ليتكلم بالكلمة . . .]** إلى آخره.

---

[١] هو أن تحلف على الله أن يفعل أو لا يفعل، مثل: ليفعلن الله كذا، أو والله ليفعل الله كذا.

فرع: الإقسام على الله ينقسم إلى أقسام:

١- أن يقسم بما أخبر الله به ورسوله فهذا لا بأس به، مثل: والله ليدخلن الله فرعون النار.

٢- أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظن بربه فهذا جائز (قصة الرُّبيِّع بنت النضر).

٣- أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس وتحجر فضل الله وسوء الظن بالله فهذا محرم وهذا القسم هو الذي ساقه المؤلف.

[٢] مناسبة الباب لكتاب التوحيد هو أن من تألى على الله فقد أساء الأدب معه وهذا ينافي كمال التوحيد.

[٣] من ذا الذي يتحجر فضلي ونعمتي ويحلف علي.

[٤] ووجه إحباط عمله أن هذا الرجل كان يتعبد الله وفي نفسه شيء من العجب، لأنه من ركائز العبادة هو الذل والانكسار والخضوع.

[٥] أهلكت.

[٦] لأن دنيا الإنسان حقيقة هي ما اكتسب فيها عملاً صالحًا وإلا فهي خسارة.

[٧] سير النعل الذي يكون بين الإبهام والأصابع.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسببٍ هو من أَكْرَه الأمور إليه.

٦٤ – باب

لا يستشفع بالله على خلقه[١]

عن جبير بن مطعمٍ رضي الله عنه، قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله! نهكت[٢] الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال؛ فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك[٣]، وبك على الله[٤]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **[سبحان الله![٥] سبحان الله!]**. فمازال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[ويحك![٦] أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحدٍ من خلقه]**[٧]. وذكر الحديث. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: (نستشفع بالله عليك).

الثانية: تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (نستشفع بك على الله).

الرابعة: التنبيه على تفسير (سبحان الله!).

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء[٨].

---

[١] أي أن تطلب من الله أن يتوسط لك عند الرسول صلى الله عليه وسلم أو عند أحد من خلقه، وهذا غير جائز لأن فيه نقصًا لله وجعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه، وهذا فيه سوء أدب مع الله.

[٢] ضعفت.

[٣] نجعله واسطة بيننا وبينك لتدعو الله لنا.

[٤] نطلب منك أن تكون شافعًا لنا عند الله فتدعو الله لنا وهذا صحيح.

[٥] استعظامًا لهذا القول.

[٦] كلمة تحذير.

[٧] وضعفه الألباني في ظلال الجنة لكن معناه صحيح.

[٨] وهذا في حال حياته أما بعد مماته فلا يجوز.

فرع: ما حكم القول اللهم ارحمني بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو بجاه الشيخ الفلاني (التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم)؟ لا يجوز.

٦٥ – باب

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك[١]

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قال: ((انطلقت في وفد بني عامرٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أنت سيدنا[٢]. فقال: **[السيد[٣] الله تبارك[٤] وتعالى]**[٥]. فقلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولاً[٦]. فقال: **[قولوا بقولكم[٧] أو بعض قولكم[٨]، ولا يستجرينكم[٩] الشيطان]**. رواه أبو داود بسندٍ جيدٍ.

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يارسول الله! ياخيرنا وابن خيرنا[١٠]! وسيدنا وابن سيدنا[١١]! فقال: **[يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم[١٢] الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل]**. رواه النسائي بسندٍ جيدٍ.

---

[١] مر معنا باب يشبه هذا الباب وهو حماية المصطفى جناب التوحيد، هذا الباب في سد طرق الشرك القولية، وذاك الباب في سد طرق الشرك الفعلية.

[٢] عظيمنا.

[٣] مشتق من السؤدد، ومعناه: العظمة، الرفعة، العلو، والسيد من أسماء الله.

[٤] كثرت بركاته وخيراته.

[٥] النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: **[السيد الله]** قال ذلك تواضعًا وبيانًا على أنه لا يجوز الإطلاق وإنما يجوز التقييد، وخوفًا من الغلو، وخوفًا من الانتقال من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة.

[٦] شرفًا وغنًى.

[٧] دليل الإباحة.

[٨] اقتصروا على بعضه.

[٩] لا يغلبنكم الشيطان، استجراه: بمعنى جذبه وجعله يجري معه إلى أن تقولوا قولاً منكرًا.

فرع: السيد المطلق هو الله، ويجوز أن يقال سيدنا وسيد بني فلان ونحوه ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلاً لذلك، فيجوز إذا قيدت ولا يجوز إذا أطلقت.

[١٠] في النسب.

[١١] في النسب.

[١٢] سدًا للذريعة.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: (أنت سيدنا).

الثالثة: قوله: **[لا يستجرينكم الشيطان]**. مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: **[ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي]**.

فرع: حكم التسمية بسيد؟ إذا كان للمجرد العلمية فيجوز، أما إذا سماه هذا الاسم ملاحظًا للصفة فلا يجوز لأن في ذلك تزكية.

فرع: هل يجوز أن نقول عن آل البيت سادة؟ لم يرد عن السلف وقال ابن تيمية هذا اللفظ حادث.

٦٦ – باب[١]

ماجاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ[٢] وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ[٣] يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٤] الزمر: ٦٧.

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه؛ قال: **[جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يامحمد! إنا نجد[٥] أن الله يجعل السماوات على إصبعٍ، والأرضين على إصبعٍ، والشجر على إصبعٍ، والماء على إصبعٍ، والثرى[٦] على إصبعٍ، وسائر الخلق على إصبعٍ، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه[٧]؛ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: (وما قدروا الله حق قدره والأرض وجميعًا قبضته يوم القيامة)]** [الزمر: ٦٧].

وفي رواية لمسلمٍ: **[والجبال والشجر على إصبعٍ، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله]**.

وفي روايةٍ للبخاري: **[يجعل السماوات على إصبعٍ، والماء والثرى[٨] على إصبعٍ، وسائر الخلق على إصبعٍ]**. أخرجاه.

---

[١] علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد واضحة فإن الذي لم يقدر الله حق قدره فتوحيده ناقص وقد يكون لا توحيد له.

[٢] ما عظموا الله حق تعظيمه.

[٣] ما يقبض باليد.

[٤] ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٧.

[٥] في التوراة.

[٦] التراب.

[٧] أقصى الأضراس.

[٨] كناية عن الأرض كلها.

فرع: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الزمر: ٦٧ : أن السماوات مطويات كطي السجل للكتب بيمينه.

ولمسلمٍ عن ابن عمر مرفوعًا: **[يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين السبع، ثم يأخذهن بشماله**[1]**، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟]**.

وروي عن ابن عباسٍ، قال: **[ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلةٍ**[2] **في يد أحدكم]**.

وقال ابن جريرٍ: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهبٍ؛ قال: قال ابن زيدٍ: حدثني أبي؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[ما السماوات السبع في الكرسي**[3] **إلا كدراهم سبعةٍ ألقيت في ترسٍ]**.

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **[ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ**[4] **من حديدٍ ألقيت بين ظهري فلاةٍ من الأرض]**.

[5]وعن ابن مسعودٍ، قال: **[بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عامٍ، وبين كل سماءٍ خمس مئة عامٍ، وبين السماء السابعة والكرسي خمس مئة عامٍ، وبين الكرسي والماء خمس مئة عامٍ، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم]**. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصمٍ عن زر عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائلٍ عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: (وله طرقٌ).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[هل تدرون كم بين السماء والأرض؟]**. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **[بينهما مسيرة خمس مئة سنةٍ، ومن كل سماءٍ إلى سماءٍ مسيرة خمس مئة سنةٍ، وكِثَفُ كل سماءٍ مسيرة مسيرة خمس مئة سنةٍ، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم]**. أخرجه أبو داود وغيره.

---

[1] إن ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله: **[كلتا يديه يمين]** رواه مسلم : لأنها ليست كيد الشمال للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى.

[2] حبة نبات صغيرة جدًا.

[3] موضع قدمي الله.

[4] حلقة الدرع.

[5] له حكم الرفع.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ الزمر: ٦٧.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقيةٌ عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم، ولم ينكروها، ولم يتأولوها.[١]

الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم؛ صدقه، ونزل ((القرآن)) بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك منه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصرح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأراضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: (كخردلةٍ في كف أحدكم).

التاسعة: عظم ((الكرسي)) بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عظم ((العرش)) بالنسبة إلى ((الكرسي)).

الحادية عشر: أن ((العرش)) غير ((الكرسي)) والماء.

الثانية عشر: كم بين كل سماءٍ إلى سماءٍ.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة و((الكرسي)).

الرابعة عشرة: كم بين ((الكرسي)) والماء.

الخامسة عشرة: أن ((العرش)) فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق ((العرش)).

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماءٍ خمس مئة سنةٍ.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله خمس مئة سنةٍ. والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] كأنه يقول: إن اليهود خير من أولئك المحرفين لها.

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**